

أرسيث لوبيث

الغرفة الصفراء



مغامرات "أرسين لوبين"

● نو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة، وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم، والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحللها وتكشف عن مرتكبيها.

هذا البطل (أرسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته إلى الثراء وكسب المال أو للثأر والانتقام من خصومه، وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة.

إنه اللص الشريف الذي يمتلئ قلبه بالحب والخير للناس. وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصص بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء والصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان.

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في أوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة.

ثمن النسخة

Canada	5\$	ج ٣	مصر	٧٥٠ف	الكويت	٢٠٠٠ل	لبنان
U.K	1.5	د ١٠	المغرب	١٠ د	الإمارات	٧٥ ل	سوريا
France	15F.F	د ١	ليبيا	١ د	البحرين	١ د	الأردن
Greece	1200Drs.	د ١٠٥	تونس	١٠ ر	قطر	٥٠	العراق
CYPRUS	1.5 P.	ر ٧٥	اليمن	١ د	مسقط	٦ ر	السعودية

برنارد الأسطه

يقدم

الرواية المعربة

الغرفة الصفراء

(٤٧)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الطريف "آرسين لوين"

الناشر

دارميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

ص.ب ٣٧٤ جونية - لبنان

تلفون : 00 961 9 902 131

فاكس : 00 961 9 902 939

جميع الحقوق محفوظة للناشر

يمنع منعاً باتاً نقل أي جزء أو قسم من هذا الكتاب

وبأية وسيلة إلا بعد الحصول على موافقة خطية من الناشر .

الفصل الأول

الغرفة الصفراء

طوى الرجل الجريدة ووضعها امامه ونظر إلى المائدة المجاورة ولم يتمالك نفسه من الابتسام .

كانت الفتاة التي جلست إلى تلك المائدة تحاول التفاهم مع خادم المطعم ، والخادم لا يستطيع أن يفهم عباراتها الفرنسية السقيمة التي كانت تنطق بها بلكنة اجنبية .

واحست الفتاة بعجزها ونظرت حولها وفي عينيها مزيج من اليأس والحرص ، وتعلقت عيناها بعيني الرجل لحظة ، واحس الرجل بانها تستنجد به وتدعوه إلى التدخل . وكان قد فهم غرضها فالتفت إلى الخادم وقال له بالفرنسية في هدوء ولكن بلهجة حاسمة :

- اصغ إلي يا هذا ، إن الأنسة تطلب شرابا جيدا مع قطعة رقيقة من قشر الليمون .

فأحنى الخادم قامته وانصرف لتلبية الطلب وأشعل الرجل لفافة تبغ وراح يدخن في لذة وارتياح كأنما لا يوجد في الدنيا ما يشغله غير جارقه الحسناء التي جعل ينظر إليها خلسة بجانب عينه .

وبعد قليل عاد الخادم ووضع أمام الفتاة قدحا فتناولته ورفعته إلى فمها في حذر وتوقفته في بطنها وقلبت شفيتها باشمئزاز ولم يتمالك الرجل نفسه من الابتسام فقالت له الفتاة بالإنجليزية :

- ليتني كنت اتكلم الفرنسية كما تتكلمها لكي أقول لهذا الخادم كلاما لا يسره .

فاجاب الرجل :

- إن خدم المطاعم والفنادق قلما يأتونك بما تريدين ، باستثناء خدم المطاعم في انجلترا وأمريكا .

ثم استطرده بعد صمت قصير :

هل تجددين صعوبة في التفاهم مع أهل باريس ؟

فاجابت ضاحكة :

- إنك رايت بنفسك مثلا من امثلة هذا التفاهم ، ولكنني لاحظ انك تتكلم الإنجليزية بطلاقة ، فهل انت فرنسي ؟

- نعم ، ولكنني اعتبر نفسي رجلا دوليا اتكلم بضع لغات كما يتكلمها أهلها .

- هل ذهبت إلى انجلترا او امريكا ؟

فابتسم الرجل وأجاب في شيء من الأسى :

- ليعتني أعرف مكانا لم أنهب إليه .

فنظرت إليه طويلا في فضول والتقت عيونهما مرة أخرى .
قالت فجأة :

- حدثني أيها الغريب ، أين تستطيع فتاة أن تقضي سهرة ممتعة ،

فتاة توشك أن تقدم على مغامرة . فإذا فشلت فلن يكون في مقدورها بعد ذلك أن تختار المكان الذي تذهب إليه ، هل فهمتني ؟ أريد سهرة من نوع يترك في النفس أثرا لا يمحي .

فصعدھا الرجل بعينيھ وفكر لحظة ثم اجاب :

- إن باريس كلها تحت تصرفك ، فهل تريدین قضاء السهرة في احد

المنتديات الليلية المحترمة ، أم في احد الصالونات غير المحترمة ؟؟

- أيهما تفضل ؟

- أنا شخصيا اقترح قضاء سهرة شاعرية في مطعم هادئ بشوارع

(سان لورانس) اشتهر باطعمته الإنجليزية الشبيهة ، وبعد ذلك نرى ما سوف يكون .

- وأنا قبلت اقتراحك أيها الغريب .

ودعا الرجل الخادم ونقده الحساب بينما حملت الفتاة حقيبتها

وقفازها وانصرف الاثنان معا ، واستقلا سيارة أجرة كانت بالبواب .

قالت الفتاة :

- إن لدي فسحة من الوقت حتى منتصف الليل أيها الغريب .

وخلعت قبعتها واسندت قدميها الصغيرتين على المقعد المقابل ،

وسقط ضوء مصابيح الشوارع على وجهها ، ورأها الرجل بكل فتنتها

وجمال طلعتها .

سألاها :

- وبعد منتصف الليل .. الا تتركين لي فردة حذاء على سبيل

الذكرى .

- بل سأتارك لك الحذاء كله .. لأن هناك منزلا يجب أن اسطو عليه .
وتناولوا معا عشاء شهيا اعترفت الفتاة بأنها لم تتذوق في باريس
طعاما في جودته ولذته . ثم قبلت من الرجل لفافة تبغ اشعلتها بعود
الثقاب الذي قدمه إليها . ونظرت إلى مضيفها في شيء كثير من عدم
الكلفة ، على نحو ما يحدث بين شخصين استمتعوا باكلة واحدة .
قالت :

يسرنني أنني قابلتك أيها الغريب . فانت إنسان تقابل الأمور في
هدوء ولا تلقى أسئلة محرجة .
فابتسم الرجل . لقد تعود أن يسمع عن نفسه إطراء من هذا الطراز .
اجاب :

- إننا معشر اللصوص قلما نفقد هدوء اعصابنا واتزان تفكيرنا ،
أما عن الأسئلة المحرجة فهذه يمكن إلقاء الكثير منها فيما بعد .
فارسلت من فمها خيطا رفيعا من الدخان راحت ترقبه وهو يتصاعد
نحو السقف ثم قالت في هدوء :

- سأحدث إليك في صراحة أيها الغريب ، إن النساء يحببن
الثروة ، وما ألد الثثرة في ليلة كهذه يبدو كل شيء فيها كأنه حلم ،
إننا لم نلتق قبل الآن ، وقد لا نلتقي أبدا بعد ذلك فهذا اللقاء من النوع
الذي ليس له ما وراءه إلا الذكرى .

- ومن هذا الوحش الذي ستفتكين به الليلة ؟

- إنه أحد الذئاب التي يراها المجتمع في ثياب الحملان ، هل
سمعت عن "بيرت نورثويد" ؟

نعم ، إن الرجل الغريب قد سمع عن "بيرت نورثويد" ، بل ويعرف
الكثير عنه وعن أمثاله ممن أثروا خلال الحرب بوسائل ملتوية ، إنه
يعرف أن "نورثويد" جمع ثروة طائلة من توريد الأحذية لجنود
الحلفاء بثلاثة أمثال ثمنها الحقيقي وأنه أصبح بفضل هذه (الخدمة
الوطنية) من كبار الأغنياء ، ولا تزال فروع مؤسسته تعمل في جميع
العواصم الأوروبية والأمريكية أما الرجل نفسه فإنه تقاعد وترك
الإشراف على أعماله الكثيرة للعنصر النسائي في أسرته لأن الأسرة

خلت من الذكور .

اجاب الرجل :

- نعم ، إنني سمعت عن " نورثويد " إنه أحد رواد الصناعة في العالم .

فقالت الفتاة :

- وهو كذلك عمي ، وأنا ادعى " إميلي نورثويد "

وحمد الرجل الله على أنه لم يصارح زميلته براهه الشخصي في "بيرت نورثويد" وهو رأي ما كان ليكتمه لو أن هذا الأخير كان موجودا .

قال ببرود :

- إنني أرثي لك يا أنسة .

فقالت :

- إن أبي أستاذ للهندسة في جامعة (تورنتو) بكندا ، ومن المؤكد أنك لم تسمع عنه قبل الآن ، ولكني اعتقد أن الله لم يخلق اخوين يختلف كل منهما عن الآخر كما يختلف أبي عن أخيه ، كان كل هم عمي أن يبحث عن النقود ويخترنها ، أما أبي فلم يكن كذلك قط . إنه رجل هادئ كريم لا يختلف عن أي إنسان عادي ، وهو خارج عمله أشبه بالأطفال سذاجة ووداعة ، وقد بدأ كلاهما من الحضيض وحقق كل منهما أهدافه ، فجمع عمي ثروة طائلة ، وأتم أبي دراسته والتحق بجامعة (تورنتو) وحصل على درجة جامعية ، ووصل إلى مركزه العلمي الحالي ثم جاءت أمي ففرقت بين الرجلين . كان عمي يريدنا زوجة له ، ولكنها اختارت أبي زوجا لها .

فهز الرجل رأسه في صمت واستطردت الفتاة :

- لم يكن لأبي ذنب في ذلك ، ولكن عمي لم يغفر له قط ، ولا اظن أنه غار من أبي أو أنه كان يحب أمي حقيقة ، واعتقد أن سبب حنقه وغيبظه أنه اصطدم لأول مرة في حياته بشيء لا يمكن شراؤه بالمال ، فخدش ذلك كبريائه وأثار ضغينته .

ومهما يكن من أمر فإنه لم يفصح عما يعتمل في نفسه ، وظل يتظاهر بالحب والعطف ولم يرتب أبي من ناحيته في شيء ، ولكني

كنت أرى والاحظ وكثيرا ما حاولت أن ألقت نظر أبي إلى أن أخاه لا يضمّر له خيرا . ولكنه كان يرفض الإصغاء إلي ، بل وأكثر من ذلك أنه ساعد "بيرت" على مضاعفة ثروته ، لأنه مخترع بارع وقد صنع لعمري خلال الحرب آلات تنتج ضعف كمية الأحذية بنصف التكاليف ، وأظن أن عمي كافاه على ذلك بأن أعطاه مائة دولار .

وهنا ابتسمت الفتاة واستطربت :

- لقد بدأت القضية تبدو كأحدى الروايات البوليسية . اليس كذلك؟

- إنني أحب هذا النوع من القصص .

ازدردت الفتاة ما كان في قدحها من شراب وقالت :

- ومع ذلك فإنها قصة لها مثيلات في كل يوم . لقد شرع أبي منذ عامين في ابتكار جهاز للسيارات ينقل سرعاتها بطريقة آلية ، هل تفهم ما أعني ؟ إنه جهاز يساعد على قيادة السيارة دون أن تستخدم أي شيء آخر غير (الفرامل) ، جهاز ينسق سرعة السيارة في الطرق المرتفعة والمنحجرة ووسط الزحام دون أن تحرك ساكنا ، وإنه موضوع فني لا ضرورة الآن للإفاضة في وصفه وشرحه وبحسبي أن أقول لك إنه سيحدث انقلاباً خطيرا في صناعة السيارات ، وأنه يساوي ثروة ضخمة ، وقد أنفق أبي في سبيل صنعه وتحسينه كل ما ادخره طيلة حياته وأحس منذ ثلاثة أشهر بأنه لا يملك ما يساعده على الاستمرار للوصول باختراعه إلى أقصى حالات الدقة والانتقان فلجا إلى عمي "بيرت" يطلب المساعدة .

وصمتت الفتاة ، وكان الرجل يصغي إليها بانتباه ، وعقله يعمل بسرعة ، فأرسل من فمه سحابة من الدخان ، نظر من خلالها بإمعان إلى وجه الفتاة نظرة صريحة فاحصة نافذة وقال :

- وقد ساعده "نورثويد" بالتأكيد .

- إن عمي اقترضه خمسة آلاف دولار بضمان اسمي ... أو هكذا قال له ، ضمان اسمي لا أهمية له ، هو عبارة عن طائفة من الوثائق وقعها أبي للشكليات فحسب ، وأظنك أدركت معنى هذا .
- أظن ذلك .

- إن تصميم الاختراع موجود الآن في خزانة عمي بقصره في (سان كلو) وهذا التصميم هو عصارة ذهن أبي ، و خلاصة تفكيره وعلومه وجهوده منذ عشرات السنين . وتوجد مع التصميم في الخزانة ورقة بخط أبي تقول : إن الاختراع أصبح ملكا لعمي ، وله كل امتيازاته ومن حقه أن يستغله على الوجه الذي يريده ولم يقيد هذا الحق بحد أو تاريخ ، وكان المفروض أن ينتهي حق عمي في الامتياز في الموعد الذي يتم فيه سداد القرض ، ولكن الورقة لم يذكر بها شيء من ذلك . لأن أبي رجل طيب القلب ، لا يعرف الخدع القانونية ، وقد وقع هذه الورقة في غيابة فلم أعرف بامرأها إلا بعد فوات الأوان . فقال الرجل في هدوء :

- هل أفهم من ذلك أن قصر عمك في (سان كلو) هو المكان الذي تريدن السطو عليه الليلة ؟
فنظرت إليه بامعان ، دون أن يهتز لها هذب ، نظرة صريحة تنم عن العزم وقالت في هدوء :

- اصغ إلي أيها الغريب ، سأظل أزعم أن هذه الليلة كلها حلم من الأحلام وأن ما دار بيني وبينك هو جزء من هذا الحلم الممتع ، ولولا ذلك ما صارحتك بكل هذا ، نعم ، إنني سأسطو الليلة على قصر عمي إذا استطعت ، وسأحاول الاستيلاء على مفاتيحه وفتح خزانته وسرقة تصميم الاختراع والوثيقة التي وقعها أبي ، إذ لا أمل في أن يتمكن أبي من سداد القرض ، وعمي يعلم ذلك ، وقد اتخذ فعلا كافة الإجراءات اللازمة لبيع الاختراع لشركة السيارات (فورد) ولا توجد أية وسيلة قانونية لمنعه من عقد هذه الصفقة ، إنها قضية من القضايا التي يمنح فيها القانون تسعة أعشار ملكية الشيء لحائزه ، فإذا استرددنا العقد والتصميم فلن يجزئ عمي "بيرت" على رفع الأمر للقضاء وعرض تفاصيل الصفقة علانية ، لأنها صفقة مخزية له ، ويجب عليه أن يبسطها أمام القضاء إذا أراد المطالبة بشيء ، فهل ترى فيما اعترزمت خروجاً على الصواب والمنطق؟
- إلى حد ما .

فقالته وهي تحرك الكاس بين أناملها :

- ربما ، ولكن حدثني أيها الغريب ، هل سمعت عن شخص يدعى

كوبين ؟

- فأجاب الرجل في بساطة :

- " أرسين كوبين " ومن ذا الذي لم يسمع عنه ؟

- " إنني قرأت وسمعت عنه الكثير وأحسب أنه الوحيد الذي يستطيع القيام بهذه المغامرة . إنها مغامرة عادلة رغم ما تنطوي عليه من خروج على القانون ، فليتنى أستطيع مقابلته ، فإن مثله خير من يفهم هذا الموقف على حقيقته .. أنت كذلك إنسان حسن الإدراك أيها الغريب ، وقد أصغيت إلي في صبر وأناة وقد رفه ذلك عني وساعدني على الماضي في سرد قصتي إلى النهاية ، والآن أرجو أن تنسى أو تتناسى كل ما سمعت ولتحدث في شيء آخر .. أي شيء آخر يروقك .
فملا الرجل قنحه ورفع في يده ، وقال وقد اشرق وجهه فجأة :

- لا اظن أنني سأنسى أو أتناسى يا "إميلي" أنا "أرسين كوبين" ،
ولم تخلق بعد الخزانة التي أعجز عن فتحها وسنذهب معا إلى (سان كلو) .

قالت الفتاة :

- هو ذا القصر .

وأوقف "كوبين" السيارة . كانت سيارتها وقد تركته يقودها .

ووجد "كوبين" نفسه أمام قصر فخم مشيد على الطراز النابليوني فوق أكمة بعيدة عن الطريق وتحيط به حديقة مترامية الأطراف .
غادر السيارة ووقف يتأمل القصر وخيل إليه بعد قليل أنه يعرف كل ركن فيه كما لو كان قد أقام به عدة أعوام إذ نقلت إليه الفتاة - بوصف مسهب - مداخل القصر ومنافذه وقاعاته وأروقته ، ورسمت له على ورقة في المطعم وهما يتناولان أقذاح القهوة صورة صحيحة عن مواقع الغرف ومكان الخزانة من الغرفة التي يدعوها عمها (الغرفة الصفراء) .
وكان الليل قد انتصف أو كاد ، والسما مظلمة لا قمر فيها ولا نجوم ، كانت ليلة صالحة للمغامرة من جميع الوجوه .

قالت الفتاة :

- " إنني لا أزال أجهل لماذا تتكلف هذا العناء وتجازف من أجلي ؟

فأجاب :

- لأنني أحب هذا النوع من المغامرات . إن لي رأيا خاصا في تورلويد . وكنت أتوق إلى مثل هذه الفرصة منذ وقت طويل ، ولو قد سمعت بقصتك وأنا على بعد مئات الكيلومترات لما ترددت في القدوم .
- ألا ترى من الأوفى أن أرافك ؟

فاجاب وهو يتنسم الهواء النقي ملء رئتيه :

- هذه مهنتي وأنا ادرى بها منك .

- ولكن هب أن عمي استيقظ من نومه ؟

- ساعرف في هذه الحالة كيف أجعله يعود إلى النوم .

- وإذا فاجاك الخدم ؟

- أشد وثاقهم وأقذف بهم من النوافذ .

- ولكن هب انه قبض عليك ؟

فاجاب ضاحكا :

- في هذه الحالة يكون العالم قد قرب من نهايته ، ولكن لا تقلقي . وعلى فرض وقوع هذا فلا بد من حدوث ضجة تبلغ إلى مسامعك وتنبهك إلى الخطر وعندئذ يتعين عليك أن تهربي بالسيارة إلى باريس، وتنتظري النتيجة هناك ، إنها أصبحت مغامرتي .. لا مغامرتك .

قال ذلك ومشى إلى سور القصر بسرعة القط وخفته .

لم ير نورا في النوافذ ولكنه دار بالقصر ليكون على يقين .

وكانت عيناه قد الفتا الظلام فلم يحدث أية حركة تنم عن وجوده .

وما هي إلا دقائق حتى كان قد وثب فوق السور واجتاز الحديقة ووقف أمام الباب الداخلي .

كان بابا ضخما من الخشب السميك فلم يكلف "لوبين" نفسه عناء معالجته واستقرت عيناه على نافذة في الطابق الأرضي ، كان فتحها بالنسبة إليه لعب أطفال .

وما هي إلا لحظة حتى فتحت النافذة فوثب منها إلى الداخل ووجد نفسه في مطبخ القصر فاضاء مصباحه وأجال الطرف حوله ووقع بصره على لوحة المفاتيح الكهربائية التي تتحكم في إنارة القصر ، راها في نفس المكان الذي ذكرته "إميلي" فسار إليها وانزعز المفاتيح

وقطع تيار الإضاءة واحس بالطمأنينة .

وإذا أحس به اهل القصر فإنهم سوف يتخبطون في الظلام ويتعذر عليهم مطاربتة .

ثم سار إلى صالة القصر ورفع مزاليح الباب الكبير .

لقد كان يبين بحريته لبعد نظره وحرصه دائما على إعداد منفذ او منفذين للإفلات إذا تخرجت الامور وحدث ما لم يكن في الحسبان .

ثم قصد بعد ذلك إلى (الغرفة الصفراء) في المكان الذي وصفته إميلي . واهتم بفتح نافذتها قبل اهتمامه بالبحث عن الخزانة .

لقد قالت له " إميلي " إن الخزانة موجودة داخل الجدار وراء احد دواليب الكتب فإذا فتح باب الدواليب ظهرت الخزانة .

وقد وجد الخزانة حيث وصفتها " إميلي " ، وما إن سقط عليها ضوء مصباحه الكهربائي حتى أدرك أنها ليست من النوع الذي يفتح بسهولة . لم يتعود "لوبيـن" أن يحمل أدوات العمل ، ولا أن يحشو جيوبه - كما يفعل بعض المبتدئين - بالمواد الحارقة او الناسفة او بأجهزة إذابة الفولاذ . فصاح عزمه على فتح الخزانة بمفتاحها فتسلل إلى خارج الغرفة وصعد السلم بخطى لا تسمع وقصد إلى حيث يوجد مخدع " نورثويد " .

وكان " نورثويد " مستغرقا في نومه وهو يغط بصوت مسموع ، ولو أنه كان مستيقظا لما سمع حركة فتح الباب او وقع خطى "لوبيـن" وهو يتسلل إلى الداخل ثم وهو يتناول حزمة المفاتيح من برج المائدة الصغيرة المجاورة للفرش او وهو ينتزع من حول عنقه سلسلة ذهبية يتدلى منها مفتاح قد يكون هو مفتاح الخزانة .

وهبط "لوبيـن" درج السلم كأنه شبح ، وعاد إلى الغرفة الصفراء وسلط نور مصباحه على باب الخزانة واختار من بين المفاتيح واحدا رجح أنه المفتاح المطلوب .

وما إن وضع المفتاح في قفل الخزانة واداره حتى فتح بها بحركة انحلت السرور إلى قلبه فمد يده المقفزة وفتح درجا كبيرا في قاع الخزانة ووجد حزمة من الاوراق مربوطة بخيط وقد كتب على ظاهرها بحروف كبيرة (جهاز القيادة الاوتوماتيكي) .

وقطع 'لوبيين' الخيط وبسط الأوراق بين يديه فرأى الرسوم والتصميم ووثيقة قانونية ورسائل من بعض مصانع السيارات في أمريكا .

وقضى 'لوبيين' الدقائق العشر التالية في عمل غامض استغرق كل تفكيره وعنايته فلم ينتبه إلى حركة خافتة مهمة كان من الممكن أن تلتقطها أذناه الحساستان لولا انشغاله بالذي بين يديه .

على أنه لم يلبث أن شعر بالخطر حين سمع وقع اقدام تتحرك بحذر إلى الشرفة الملحقة بالغرفة ، واقتربت هذه الحركة بلمسات خشنة ، وكان ذلك كله مفاجأة له فرفع رأسه وأجال النظر حوله كمن لا يصدق أذنيه .

وفي هذه اللحظة وقع بصره مصادفة على الخزانة التي أغلقها في التو واللحظة ، وحينئذ تبين وجود أنبوبة معدنية رفيعة ممتدة من الجدار إلى أحد أركان باب الخزانة ، وأدرك على الفور أن هذه الأنبوبة هي جزء من جهاز الإنذار المثبت بالخزانة ، ولابد أن يكون هذا الجهاز بمعزل عن التيار الكهربائي الذي يضيء البيت .

ولم تكن 'إميلي' قد نكرت له شيئا عن الجهاز ، ومن المحتمل أن يكون 'نورثويد' قد احتفظ بامر الجهاز سرا فلم يتحدث به إلى أحد . وأطفا 'لوبيين' مصباحه الكهربائي على الفور ووثب نحو باب الغرفة وفتحها في حذر وخرج إلى الصالة .

وحينئذ وجد بينه وبين الباب الخارجي خادما ضخما الجثة يحمل في يده هراوة غليظة .

ونظر إلى الردهة الضيقة الموصلة إلى المطبخ ، ورأى خادما نحيف الجسم مفتول الساعدين يتقدم نحوه بخطى لا تكاد تسمع .

وارسل بصره إلى السلم ، وهو المنفذ الأخير ، ورأى 'نورثويد' واقفا أعلاه وفي إحدى يديه شمعة مضاءة ، وييده الأخرى مسدس . ولم يفقد 'لوبيين' صوابه وتلاعبت على شفثيه ابتسامة وقال في أدب:

— طاب مساؤكم أيها السادة !! يؤسفني أنني أقلقكم في هذه الساعة المتأخرة من الليل .

ثم نكص على عقبيه وعاد مسرعا إلى (الغرفة الصفراء) وأغلق بابها وراءه بصوت مسموع .

وكانت جراته قد أذهلت الخادمين فجمدا في مكانهما لحظة ثم هجما على الغرفة الصفراء في وقت واحد ، ولحق بهما " نورثويد " ولكنه لم يجازف بالدخول بل وقف بالباب ورفع الشمعة فوق رأسه ليتسنى له رؤية ما يحدث في الداخل .

ووقف الخادمان فجأة ولم يصدقا عيونتهما ، فقد كانت (الغرفة الصفراء) خالية تماما .

ولكن الخادم الضخم كان أسرع من زميله في استرداد أنفاسه فمشى إلى مقعد كبير في ركن الغرفة وأطل وراءه ، وتشجع الخادم الآخر وأسرع إلى ستار النافذة وحركه ووجد النافذة مفتوحة .

وبينما الخادم الضخم يحرك المقعد ، وزميله يطل من النافذة ، وثب "لوبيين" من فوق سلم وراء باب كان يستخدم بغير شك للوصول إلى الرفوف العليا بدواليب الكتب وهبط بكل ثقله على رأس " نورثويد " قافلت من فم هذا الأخير صيحة ذعر وسقطت الشمعة من يده وانطفت فدفعه " لوبيين " إلى داخل الغرفة وأغلق بابها .
قال " لوبيين " :

- لا يزال لدينا متسع من الوقت لقضاء ساعة في احد المراقص .
فدعرت الفتاة ونظرت حولها ورات " لوبيين " يخرج من الظلام . قالت وهي تلهث :

- هل كان من الضروري أن تخيفني على هذا النحو ؟
ولكنه ضحك ونظر وراءه إلى القصر حيث سمع ضجة كان وقعها في أذنيه أعذب من أنغام الموسيقى .

ووثب " لوبيين " إلى السيارة وأدار محركها فسالته الفتاة :

- وهل حدث ما لم يكن في الحسبان ؟؟

فاجابها :

- لم يحدث ما يتعذر تلافيه .

وانطلقت بهما السيارة تسابق الريح واشعل " لوبيين " لغافة تبغ راح يبخنها في هدوء ولذة .

سالته :

- هل جئت بكل شيء ؟

- ألم أقل لك إنني لا أعرف المستحيلات ؟

- ولكن الضجة ..

- يبدو أن الخزانة كانت متصلة بجهاز للإنذار لم يكن لك به علم على أن وجود الجهاز لم يغير من الأمر شيئاً . لقد وصل الأغبياء بعد فوات الآوان ولو رايت ضخامة اجسامهم لعرفت سبب إبطائهم .
فامسكت ساعده بانفعال وهتفت :

- إنني لا أكاد اصدق انني ، لقد انتهى كل شيء الآن ، من ذا الذي يصدق انني اشتركت مع " ارسين لوبين " في مغامرة ؟ ! " ارسين لوبين بلحمه وعظمه هل ثمة مانع من أن أعبر عن اغتيابي ؟؟
ومدت يدها إلى زر نغير السيارة وراحت تضغطه بحركة منتظمة فارسل نغمة موسيقية مرحة .
وابتسم " لوبين " .

إنه نفسه لا يكاد يصدق أن الأمر تم بهذه البساطة والسهولة .
لقد كانت ليلة سعيدة منذ البداية .

وتحول بالسيارة في انحناءة بالطريق وحينئذ رأى امامه فجأة صفا من المصابيح الحمراء فقال وهو يضغط فرامل السيارة :
- لم تكن هذه المصابيح هنا عندما جئنا .
وأحس بان زميلته قد صمتت فجأة وجمت في مكانها .
همست :

- ترى ما هذا ؟

ولكنه هز كتفيه وأوقف السيارة على بعد ثلاثة أمتار من المصابيح الحمراء التي خيل إليه انها مثبتة في لوح من الخشب موضوع في عرض الطريق .

وكان الظلام دامسا فلم يتبين " لوبين " شيئاً وراء المصابيح ولكنه أحس بشيء معدني بارد يلتصق برأسه فتحول بسرعة ، ورأى فوهة المسدس ، ورجلا يرتدي معطفا قد وقف بجانب السيارة .
قال له الرجل في هدوء مخيف :

- لا تات بحركة .

وأحس "لوبيين" بحركة بجواره ، فنظر بجانب عينه وإذا بالفتاة تغادر السيارة .

قالت وهي تغلق الباب :

- هنا تنتهي رحلتي أيها الغريب .

فغمغم "لوبيين" في رفق :

- حسنا .

وقال الرجل الممسك بالمسدس بلهجة الأمر :

- اعطني الأوراق .

فاخرج "لوبيين" من جيبه حزمة الأوراق وتناولتها الفتاة ، واقتربت بها من مصباح السيارة وقرأت على ضوءه ما كتب على الحزمة .
وتأملها "لوبيين" وهي تفعل ذلك وأعجب بخصلات شعرها الذهبي والنسيم يتلاعب بها .

وعادت الفتاة إلى نافذة السيارة وقالت تحدث "لوبيين" :

- ليس لـ "بيرت نورثويد" أي شقيق يعمل استاذاً في "تورنتو" ،
وليست لي أية صلة بأسرة "نورثويد" ، وفيما عدا ذلك فإن كل ما
ذكرته لك صحيح .

لقد اشترى "نورثويد" هذا الاختراع من مخترع روماني شاب ، ولا
أعلم كم دفع له ثمناً للاختراع . ولكنه اشتراه فعلاً . والاختراع لم
يسجل إلى الآن ، وأهم شيء في الاختراعات التي من هذا النوع
بالنسبة إلى المصانع ، أن يظل الاختراع سرّاً حتى يتمكن المصنع من
إنتاجه قبل غيره بحيث يسبق به أي مصنع آخر ، وقد كان "نورثويد"
يوشك أن يبيع الاختراع لمصانع سيارات "فورد" كما قلت لك .

فسالها "لوبيين" في فضول :

- وماذا في نيتك أن تفعلي به ؟

- إن لدي عرضاً من (هنري كايزر) صانع السيارات الأمريكي
المشهور وقد قبلت العرض وسأبيعه للاختراع .

قالت ذلك وسارت إلى حيث كانت اللوحة الخشبية التي شئت إليها
المصابيح الحمراء فازالتها من مكانها وأفسحت الطريق .

ثم عادت إلى "لويين" ونظرت إليه بالعينين الصريحتين اللتين
عجب بصفتيهما في المطعم وقالت :

- إننا قضينا أسبوعا في الاستعداد والتأهب لهذه المغامرة وكان في
نيتنا القيام بها بأنفسنا هذه الليلة لولا أنني التقيت بك في الفندق
وعرفتك من صورة نشرتها لك إحدى الصحف منذ بضع سنوات . وكل
ما حدث منذ لقائنا كان مجرد وحي جاعني عفو الساعة وبعد ، هل
هناك أبداع من أن يسخر الإنسان أعظم خبير في المهنة لخدمته
وتحقيق أغراضه ؟

فسالها "لويين" :

- في أية صحيفة رأيت صورتني ؟
- في صحيفة (لافريس) . لماذا ؟
- أه كان ذلك منذ ثلاثة أعوام ، إنني اهتلك لحدة ذاكرتك وقوة
ملاحظتك يا أنسة .

فضحكت ضحكة هادئة تجمع بين المرح والأسى وقالت :

- إنني أسفة أيها الغريب ، لقد طابت لي صحبتك كثيرا .
فاجابها :

- إنني لا أقل عنك أسفا يا "إميلي" .
فصمتت لحظة ، ثم انحنت إلى الأمام فجأة وطبعت على شفثيه قبلة
سريعة .

وقال الرجل الآخر وهو يحرك المسدس في يده :

- امض في سبيلك ولا تتوقف .

- ألا تريدون سيارتكم ؟

فضحك الرجل بخشونة وأجاب :

- إن لدينا سيارتنا ، أما هذه السيارة فقد استأجرناها من أحد

(الجراجات) خصيصا لهذه المهمة ، امض في سبيلك .

فأدار "لويين" محرك السيارة ، وصاحت الفتاة :

- وداعا أيها الغريب .

فرد "لوبين" تحيتها بحركة من يده ! دون أن ينظر ورائه ! وانطلق
بالسيارة يسابق الريح .

* * *

مهما يكن من أمر الفتاة ، فإنه قد قضى معها سهرة ممتعة حافلة
بالمفاجآت التي يعتبرها محور حياته ! وقد كره أن يتصور ما سوف
تقوله الفتاة عنه عندما تبسط الأوراق بين يديها وتكتشف أنها أوراق
زائفة اصطنعها بسرعة في (الغرفة الصفراء) بينما احتفظ هو لنفسه
بالنصميم الحقيقي للاختراع الخطير .

* * *

الفصل الثاني

جواهر الملكة

جلس الرجلان في مطعم (أرنو) وبينهما قدحان من الشراب الفاخر .
كان أحدهما قصير القامة متجهم الوجه . تنم النظرات التي
يختلسها إلى زميله بين الفينة والفينة عن ريبته فيه وعدم ثقته . كان
كمن يجالس شعبانا يخشى أن يلدغه في أية لحظة .
أما الآخر ، فكان طويل القامة حاد التقاطيع لامع العينين ، في
نظراته مزيج من المرح والسخرية .

قال الأول دون أن ينظر إلى جليسه :

- عجباً لك يا " بارنيت " ، إنك تضيع الكثير من وقتك في النهاية
بتوافه الأمور . والواقع ، لماذا يهتم إنسان مثلك بدراسة أنواع
المشروبات ومعرفة طريقة صنعها وخصائص كل منها . وهي مسائل
لا يهتم بها غير الذين يتجرون في المشروبات على نطاق واسع .
فابتسم " بارنيت " وأجاب :

- إن الذين يعملون في مهنتنا يا عزيزي " بيشو " يشعرون أحيانا
بان هناك أشياء ينقصهم فيها العلم . فالמידان الذي تجول فيه وتصول
لا يضم فقط جيادا تحاول الوصول إلى الهدف قبلك . وإنما تضم
كذلك كلابا تحاول أن توقع بك وتقطع عليك السبيل ، والعناية بمعرفة
الأشياء الصغيرة قبل الكبيرة كثيرا ما تحقق لصاحبها النصر .

انظر إلي مثلا ، إنني حين أتناول هذا القدح لأرفعه إلى شفتي ، لا
أفكر في متعة ارتشاف هذا الشراب بقدر ما أفكر في الأعناب الذهبية
التي صنع منها ، وفي الأسماء الخالدة التي اقترنت بأجود أنواعه ،
إن لبعض هذه الأسماء رنينا أعذب من أنغام الموسيقى ، ولا أمل كذلك
من التفكير في العظماء الذين استعبدتهم عصير الأعناب .

أولئك (السكارى الخالدون) كما أسماهم رابليه ، من أمثال
أوجست العظيم ملك سكسونيا الذي رزق بثلاثمائة وخمسة وستين
ولدا بين شرعي وغير شرعي ومات من الإفراط في الشراب في

احتفالاته بأعياد ميلاد أولاده ، "ودون كلارنسي" الذي غرق في برميل
الشراب ، كذلك لا اتمامك نفسي حين اتناول الشراب أو أبحث عنه من
التفكير في اللآلئ التي ..
فهتف المفتش "بيشو" :

- اه . لقد كنت حائرا لا ادري كيف أقحم موضوع اللآلئ في حديثنا .
- ما اوثق الصلة بين اللآلئ والشراب ؟ ألم تعلم ان اللآلئ تذوب
فيه ؟ ألم تقرأ ان اباطرة الرومان كانوا في مبادلهم ينثرون اللآلئ في
الشراب ليثبتوا انهم لا يقيمون وزنا للمال ؟ ألم تسمع عن المادبة
الضخمة التي اقامتها "كليوباترا" لقيصر حين قدمت إليه بيدها قدحا
من الشراب وضعت فيه لؤلؤة لا تقدر بثمن ؟ إذا لم تكن قد قرأت أو
سمعت عن كل هذا يا عزيزي "بيشو" فانت رجل جاهل لا تصلح
مفتشا للبوليس .

فرمق "بيشو" صديقه وغريمه بنظرة صاعقة واجاب :
- دعك مما قرأت وسمعت ، إن ما أريد معرفته الآن هو مدى اهتمامك
بجواهر الليدي "أو بنهايم" التي يلقبونها بملكة الماس .
فتنهذ "بارنيت" واجاب :

- إنك تشعرني بالخل من نفسي يا "بيشو" كلما فكرت في اني
اتخذت صديقا لا يهتم بغير الماديات الزائلة . لقد دعوتك لتناول معا
طعاما شهيا ، وننعم معا ببضع كؤوس من جيد الشراب ، وكنا منذ
لحظة نقوم بجولة شاعرية في ربوع التاريخ بين الاساطير الخالدة .
وإذا بك تهبط فجأة إلى عالم الإلهم والإجرام . وتنهمني بالتدبير
للحصول على لآلئ تلك الأرملة التعسة .

فقال "بيشو" بصوت ينم عن الارتياح :
- بل إنني سامضي إلى أبعد من ذلك واسالك : هل اختيارك هذا
المكان لتناول الطعام كان مجرد مصادفة ؟

- وهل يخامرک شك في ذلك ؟ لقد خيل إلي انه مكان هادئ انيق
نستطيع أن نقضي فيه وقتا طيبا .

- ألم يقع اختيارك على هذا المكان لأنك علمت بطريقة ما أن الليدي
"أوينهايم" ستحضر إليه ؟

- نعم لم أكن أعلم ذلك بالتأكيد .

- إذن فوجوبها هنا الآن مجرد مصادفة !

ورفع - بارنيت - حاجبيه في بطله .

وقال - بيشو - دون أن يحول عينيه عن وجه محدثه :

- إنها خلقتك إلى اليسار .

فاحتسى - بارنيت - قدحه في هدوء ونظر من فوق كتفه بقلة اكتراث.

فلم يكن في حاجة إلى من يرشده إلى الليدي - أو بنهايم - فقد نشرت

لها الصحف والمجلات عشرات الصور ، وكتبت عن ثروتها من اللؤلئ

والأحجار الكريمة ما جعل صورتها تنطبع في ذهنه .

كان زوجها اللورد - أو بنهايم - رئيسا لاتحاد تجار الماس . وصاحب

أغنى مناجم الماس في جنوب إفريقيا وقد توفي في العام الماضي وترك

لزوجته ثروة طائلة من الأموال والأسهم والأحجار الكريمة . ولعل أبداع

ما تركه لها ذلك العقد من اللؤلؤ الوردي الذي ابتاعه من أحد مهرجات

الهند بمائة ألف من الجنيهات وكانت الليدي نحيفة الجسم بارزة

العظام لها وجه كوجه الجواد الأصيل ولم يكن - بارنيت - في حاجة إلى

إطالة النظر نحوها لكي يعرف الكثير من خلقها وطباعها ومع ذلك فقد

طالت نظرتة أكثر مما ينبغي واستقرت عيناه لحظة على وجه الفتاة

الفاخرة الذهبية الشعر التي كانت برفقة الليدي .

قال - بيشو - بصوت خشن :

- هه .. ما رأيك ؟

- جميلة جدا .

- بالتأكيد .. لقد قدر ثمنها بمائة ألف جنيهه .

فهتف - بارنيت - في سذاجة :

- هل تعني اللؤلئ ؟ إنني لم أنظر إليها .. بل نظرت إلى ابنة

الليدي .

- ليس لليدي بنات ، وأكبر الظن أنها إحدى صديقاتها أو مرافقاتها

والآن ، دعك من هذا العبث ولا تحاول أن تخدعني ، إنني عندما علمت

بقدوم الليدي - أو بنهايم - أدركت على الفور أنك لن تدعها وشأنها ،

ولهذا جئت لكي أحرك أنني وضعت الليدي تحت المراقبة ٢٤ ساعة في

اليوم . فإذا رآك أحد رجالي تحوم حولها أو إذا حدث لعقد اللؤلؤ أي حادث فسابير إلى اعتقالك فوراً ولو كنت في المريخ .. تذكر هذا جيداً . قال ذلك ونهض واقفاً وانصرف غاضباً فشيعة " بارنيت " ببصره حتى نوارى ، وفي هذه اللحظة دعيت الليدي " اوبنهايم " إلى التليفون فغادرت مأذنتها .. ونظر " بارنيت " إلى الفتاة والتقت عيونهما ، وتكست الفتاة بصرها وتناولت علبة ثقاب ودونت عليها بضع كلمات بقلم أخرجه من حقيبتها .

وبعد قليل ، وضع أحد الخدم علبة الثقاب أمام " بارنيت " فقرأ فيها :
" ٢٧ شارع بيانفيل " . الساعة العاشرة والنصف " .

وفي الموعد المحدد كان " بارنيت " يصعد درج سلم " المنزل " رقم ٢٧ بشارع بيانفيل . وكان المنزل عتيقاً يخالف من طابق واحد ، فطرق " بارنيت " الباب وفتحت الفتاة بنفسها فأحنى لها قامته في حركة ساخرة .

وقال في تهكم :

- طاب مساؤك .

فاجابت في هدوء :

- وطاب مساؤك .

وتقدمته إلى قاعة الاستقبال وهناك سألته :

- ماذا تشرب ؟

- أريد قدحاً من الشراب إذا سمحت .

وجاعته بما طلب فازدرد الشراب في جرعة واحدة وقال :

- إنه شراب جيد ، أرى أنك لاتزالين كالعهد فتاة فاتنة أنيقة . اعتقد

أن شيئاً واحداً فيك قد تغير ، عندما رأيتك أول مرة كنت تدعين

" نورفويد " . فماذا تسمين نفسك الآن ؟ !

- " جانين روجيه " وهو اسمي الحقيقي .

- اسم جميل ، عندما تقابلنا أول مرة ، حاولت أن تجعلني مني

مخلب القط ونسيت المثل القائل (من حفر حفرة لأخيه . الخ ..) .

فعضت شفتها وقالت :

- ليس لي أن أشكو . لقد بادتك بالعدوان ، وقابلتني بالمثل وهكذا

لم يتبقى بيننا حساب .
 - هذا بديع ، هل افهم من ذلك انك دعوتني إلى مقابلتك هنا لنحتفل
 بإبرام عهد للصالح بيننا .
 فاحمر وجهها قليلا وقالت :
 - عندما رايتني مع الليدي " اوينهايم " . ابركت اننا سنلتقي عاجلا
 او اجلا . وإنني يجب الا اخدع نفسي ، ولهذا قررت ان اكون صريحة
 معك .
 - هل خطر لك انني اسعى وراء عقد اللؤلؤ ؟
 - إذا لم تكن قد سعيت فعلا . فانت بسبيل السعي الآن . ولماذا
 تعترض ؟ لماذا لا نعمل معا ؟
 - هذه فكرة سليمة . ولكن كيف نقسم الغنيمة ؟
 - مناصفة بالتأكيد .
 - اتفقنا يا " جانين " . هاتي بك واقبلي .
 وارك " بارنيت " في تلك اللحظة التي لمست فيها يده يدها انها
 تضمنر له الشر والخيانة ولكنه لم يكف عن الابتسام وسالها :
 - وهل فكرت في خطة للعمل ؟
 فاطرقت برأسها قليلا ثم قالت :
 - لقد اتحت لي أكثر من فرصة لفحص العقد ، وتمكنت من إحصاء
 عدد حياته وانا انتظاهر بالإعجاب به ، وقد طلبت إلى بعضهم في
 امستردام " بهولندا ان يصنع لي عقداً زائفا يماثله في لونه وعدد
 حياته ، ومتى ورد العقد الزائف فليس ايسر من استبدال الحقيقي به .
 فنظر إليها " بارنيت " بإعجاب وسالته الفتاة :
 - والان انبئني انت . ماذا كانت خطتك ؟
 - لم تكن لي خطة على الإطلاق ، لاني لم اكن اعرف الليدي
 " اوينهايم " ولم افطن إلى عقدها ولم يكن لي قط اي غرض سيئ ، إلى ان
 اثار الشخص الذي كان يتناول الطعام معي فضولي وشغفي بالالكي
 الفريدة . وبهذه المناسبة هل تعرفين من كان نك الشخص ؟ إنه مفتش
 البوليس " بيشو " وهو من اعز اصدقائي .
 فصعدته بعينيها وكانما خطر لها انه يريد الإيقاع بها ثم تلاشت

مخاوفها وريبتها حين رأت نظراته البريئة . سالها :

- متى سيرد إليك العقد الزائف ؟

- غدا ، أو بعد غد .

ومرة أخرى أحس - بارنيت - بأن الفتاة تخدعه .

قال وهو يقدم لها كأسه لتملاها :

- وبمناسبة الحديث عن " بيشو " . أرى من الحكمة ألا يرانا معا في

الخارج.

وحانت منه الفتاة إلى المطبخ وكان بابه مفتوحا ، فهتف :

- خطرتي خاطر . مادمننا لا نستطيع تناول الطعام معا في المطاعم

العامه .. فإننا نستطيع أن نتناوله معا هنا .. سأحضر معي غدا

بعض المواد ، وسأطهو لك طعاما شهيا .

وفي اليوم التالي ، ذهب إليها حاملا حقيبة مليئة بالمواد الغذائية

واشعل الموقد وبدأ يعمل .

ونظرت " جانين " إلى اللغائف التي أحضرها والقناني التي وضعها

أمامه وسألته :

- ما هذا ؟

فاجاب وهو يشمر عن ساعديه :

- سأطهو لك طعاما لم تتذوقي في حياتك أشهى منه ، سأصنع لك

حساء على الطريقة الألمانية ، حساء من ذيل الثور ، صحيح ، إنه

سيستغرق وقتا طويلا ، ولكنك ستعجبين به .

فقالت ضاحكة :

- سيستغرق وقتا طويلا ! ألا نتناوله في المساء ؟

- اظن أننا لن نستطيع ذلك ، لابد أن يظل فوق الموقد الليل بطوله ،

وسألحق بك ليلا لكي أضع الشراب بالقدر الكافي .

- ومتى ستحضر ؟

- لا أعلم على وجه التحديد ، حبذا لو أعطيتني مفتاحا للشقة حتى

أستطيع الدخول إذا عوققت أعمالك عن القدوم في الوقت المناسب .

- حسنا ، سائبت لك حسن نيتي وساعطيك مفتاحا لشقتي .

* * *

وبعد ظهر ذلك اليوم ، فوجئ " لوبين " بـ " بيشو " يزوره في مكتبه .

والقى مفتش البوليس بنفسه على أحد المقاعد وسال صديقه :

- أرجو أن تكون قد قضيت وقتا طيبا صباح اليوم .

- شكرا لك ، ولكن ماذا تعني ؟

- أحسب أنني حذرتك ونصحتك بالابتعاد عن الليدي " اوبنهايم "

- من قال لك أنني اقتربت منها .

- إنني أعني تلك الفتاة " جانين روجيه " ماذا (تطبخ) معها ؟

- إنني أطبخ معها حساء من نيل الثور .

فنظر إليه " بيشو " شزرا وقال :

- يجب أن تعلم أنني لا أضيع وقتي سدى ، عندما رايت تلك الفتاة

بصحبة الليدي " اوبنهايم " ، رجعت إلى ملفات البوليس وعلمت أن

ماضيها حافل ، فوضعتها تحت المراقبة وعلمت أنك تتردد عليها وقد

كنت في شقتها صباح اليوم .

فنظر " بارنيت " إلى صديقه بحدة ثم لمعت عيناه وقال " بيشو "

" لبارنيت " :

- إن رجلا في مثل مركزك يحسن به أن يحزم حقيبته فورا ويغادر

" باريس " إلى أن ترحل عنها الليدي " اوبنهايم " .

- شكرا لك على هذه النصيحة يا " بيشو " ، سافكر فيها جيدا ، هل

تستطيع تناول طعام العشاء معي الليلة ؟ إنها قد تكون سهرة الوداع .

* * *

اطفا " بارنيت " نور المطبخ داخل النافذة .. ورأى رجلا يتحرك في

الظلام امام المنزل ، ثم راه يقابل رجلا آخر ويتحدث إليه ..

كان ذلك الرجل قد تعقبه حتى وصل إلى البيت ثم توارى في الظلام

وظل يراقب البيت .. ولابد أنه كان الآن يتحدث إلى أحد زملائه .

وغادر " بارنيت " المطبخ ، وتسلل إلى قاعة الاستقبال ، واطل من

نافذتها ورأى أحد رجال البوليس السري يروح ويجيء خلف البيت ..

كان البيت محاصرا ، وموضوعا تحت رقابة شديدة .

ولكن لماذا ؟

وحوالي منتصف الليل ، عانت " جانين " وسمع " بارنيت " وقع قدميها على درج السلم ثم فتح باب الشقة ودخلت الفتاة كنسمة من نسيمات الربيع .

قالت له بمرح :

- هالو .. أرجو ألا تكون قد انتظرتني طويلا ..

فاجابها بلهجة خطيرة :

- احكمي غلق الباب .. إن الوقت ضيق ويجب ألا نضيع لحظة

واحدة .. إن البيت محاصر ، ورجال البوليس يعرفون كل شيء عنك ..

لقد انباني " بيشو " بذلك ، انظري من النوافذ .

وهنا بدرت من " جانين " حركة غير إرادية إذ أطبقت باصابعها على حقيبتها بشدة ..

ولاحظ " بارنيت " هذه الحركة وقال :

- اعطني هذه الحقيبة .

وأشدت طرق الباب فصاح بها :

- آيتها الحمقاء . ماذا سيكون مصير بشرتك الناعمة بعد عشرة أعوام تقضينها في السجن ؟

وتناول الحقيبة من يدها وقال لها :

- انهبي وافتحي الباب .. واسرع إلى المطبخ .

ودخل " بيشو " وعلى وجهه مظاهر القوز وقال يحدث الفتاة :

- أنا مفتش البوليس " بيشو " .. ولابد أن يكون " بارنيت " قد حدثك

عني . جئت الآن في طلب عقد الليدي " أوينهايم " .

وفي هذه اللحظة خرج " بارنيت " من المطبخ ، وراى " بيشو " وفي

يده حقيبة " جانين " فقال :

- أه .. هذا يوفر علينا كثيرا من المتاعب .. معذرة .. واختطف

الحقيبة وعبث بداخلها .

فقال " بارنيت " :

- إن عيبك الرئيسي يا صديقي هو أنك لا تنصت جيدا لما يقال

أمامك . هل تذكر حديثنا حين قلت لك إنني أطهو ذيل الثور ؟ ثم هل

تذكر حديثي معك عن "كليوباترا" وكيف انها وضعت لؤلؤة ثمينة في
قدح من الشراب ؟ إن ما فعلته "كليوباترا" استطيع ان افعل مثله .
واندفعت الفتاة نحو المطبخ "بيشو" في اثرها . ولكنهما احرقا
اصابعهما في وعاء الماء دون ان يجدا اثرا للعقد
قال "بارنيت" :

- يؤسفني ان اقول لكما إن العقد تلاشى في الشراب المغلي وربما
كان من الأفضل في هذه الحالة ألا تعلم الليدي "اوينهايم" ان عقدها قد
استبدل ويستطيع الصديق "بيشو" أن يقنعها بأن اللصة الحسنة
داخلها الخوف فهربت قبل ان تستبدل العقد .
فصاحت "جانين" و "بيشو" في وقت واحد :
- يا لك من وغد !!

الفصل الثالث

الطبيب الجهنمي

- ١ -

اشعل كوبين " لفافة تبغ جديدة ، ثم رشف رشفة أخرى من كأس الشراب الموضوعة أمامه ، ومضى يفكر في أنه إذا احتاج القضاء على الأشرار أن يلقي رجل مثله شيئاً من العناء والمضايقات ، فلا ريب أن أشدها هو اضطراره إلى الجلوس في ذلك الوكر الذي يطلقون عليه اسم (قبو كوكي) ذلك الملهى الليلي العجيب المقام في بدروم إحدى العمارات الجديدة .. شرقي (نيويورك) ولم يكن الشراب وحده مبعث ضيق "كوبين" ، إذ كان مزيجاً من الماء المثلج وقطرات طفيفة من الشراب .. بل إنه كان ينظر إلى صحيفة المحار التي قدمت إليه ، فيرتد طرفه حسيراً وتراجع يده وهي تآبى أن تمتد إليه .. إذ كانت الصحيفة مليئة بسائل غريب ، تطفو على سطحه قطع صغيرة من الثلج وتسيح بينها أربع محارات هزيلة أدركت منذ امد بعيد أن النضال في سبيل الحياة والنمو عبث في عبث ..

أما ثالثة الأثافي فهي تلك الضجة العجيبة المنبعثة من فرقة الموسيقى ، فيخيل إليك أن كلا من أفرادها الخمسة يعزف لحناً غير الذي يعزفه زملاؤه ! وتسمع من ذلك خليطاً من الأصوات المتنافرة العجيبة ينقها قارع الطبل ضغطاً على طبلته فتشعر من إيقاعه كأن مطرقة عنيفة تهوي على رأسك بين لحظة وأخرى . وكان الهواء قد فسد لضيق المكان واكتظاظه بالحضور ، وامتزجت فيه رائحة العطور ودخان السجائر وأنفاس السكارى من زبائن (كوكي) السعداء الذين بلغت ببعضهم النقشوة حدا جعلهم يجارون بالغناء مع الموسيقى وكل منهم يترنم باللحن الذي يحسب أن الفرقة تعزفه .

أما هؤلاء الزبائن السعداء فقد كان الرجال منهم من ذوي الوجوه الشاحبة التي رسم عليها السهر خطوطاً لا تمحى من التمتع ، والعيون الساهمة التي تطل منها نظرات جوفاء تارة ، وتشع منها ..

ومضات من النهم والاشتھاء تارة أخرى ..

على حين كانت النساء من اللاتي يلبسن أدنى قدر من الثياب ويحتسین أوفى قدر من الشراب .. من ذوات الوجوه المصبوغة ، والشعور المتهللة ، والعيون الناعسة الذابلة ..

وفي ذلك الجو الغريب جلس "لوبيين" بمفرده في صبر وحلم لا ينفدان ، إلى المائدة التي اختارها لنفسه ، وقد غفل عن أن العميل الذي لا يجالس فتاة ولا يطلب زجاجة من الشراب ثم يحتل المائدة بمفرده ، ليس بالذي تنظر إليه إدارة الملهى نظرة رضا أو ترحب ببقائه طويلا ولذلك لم يلبث أن تقدم إليه الساقى وهو رجل شديد النحول ، ارتسمت في محياه سمة ثابتة من الاكتئاب قائلا :

- هل يريد السيد شيئا آخر ؟

فمد "لوبيين" ساقيه إلى أقصى ما يسمح به المكان وهش في وجه الساقى قائلا :

- كلا .. ولكن دع لي عنوانك حتى إذا أريت شيئا آخر أرسلت لك رقعة بالبريد .

فحدجه الساقى بنظرة يتطاير منها الشرر .. ولكن نظرتة ارتطمت بمنكبى "لوبيين" العريضين وعضلاته المفتولة ، وعينيه الساخرتين اللتين يبدو في زرقتهما الصافية وميض كحد النصل ، وإساريه المتناسقة التي تنم عن أن صاحبها ممن يعدون الضال والعراك من الفنون الجميلة .. وعندئذ استلانت نظرات الساقى وبنت فيها الدعة والاستكانة ، وقنع من الغنيمة بالإياب ..

وما كان "لوبيين" بالذي يحتمل كل هذه المضايقات لغير سبب قوي .. وما كان ليصبر في جلد على البقاء في ذلك الوكر الذي لم يسمع باسمه قط من قبل ، إلا لأن صديقه "هاملتون" مدير مكتب المخدرات العام تحدث إليه تليفونيا من واشنطن منذ بضعة أيام وذكر له شيئا عنه ..

واستجمع الساقى شجاعته بعد برهة وعاد بوجهه الكليل قائلا :

- هل ينتظر السيد أحدا ؟ ..

- نعم .. أنتظر "كوكي" .. فمتى تؤدي دورها ؟

- إنها لا تغني في وقت محدد ، وإنما تبكر أحيانا وتتاخر أحيانا أخرى .

- حسنا .. سوف أنتظرها .

ولم تبق في الملهى مائدة خالية ، ووقف كبير السقاة عند المدخل يعتذر لبعض القادمين وهو يشير بيده إشارة شملت القاعة كلها ، كأنما يريد أنهم مليئة بالرواد .. فلم يفت ذلك المنظر "لوبين " كما لم يغب عن نظرات الساقى الكتيب فتقدم نحو "لوبين " قائلا في استكانة:

- هل يريد السيد قائمة حسابه ؟

وشفع ذلك بأن وضعها أمامه ، ولكن "لوبين " هز راسه في تبلد وقال :

- كلا .. ليس قبل أن اسمع " كوكي " فكيف يمكنني أن أواجه أصدقائي بـ " إنديانا " عندما أعود إلى بلدي وأعترف بأنني كنت في "نيويورك " ونهبت إلى قبو " كوكي " دون أن اسمع غناءها ؟ .. وكيف؟..

فقاطعه الساقى - ولكنها ربما تأخرت كثيرا ..

- أعلم ذلك .. ألم تخبرني به من قبل ؟

- حسنا .. إنها تقضي معظم الوقت في المقصف الذي أنشأته للبحارة حيث تقدم لهم الطعام والشراب ..

ثم أريف بلهجة ذات مغزى وهو يدقق النظر في "لوبين " :

- مجانا .. !!

- ياله من عمل نبيل ! هل لك أن تذكرني بأن اغدو بحارا عندما أبعث من جديد !

- ماذا ؟

- إنني أرى الأنوار الكاشفة قد اضيئت ، فهل هي (كوكي) ؟

- كلا .. قلت لك إنها تحضر متأخرة !

- حسنا .. لابد أنها في الطريق الآن .. هل لك أن تنحرف إلى اليسار

حتى يمكنني أن أرى المسرح ؟

فرفع الساقى وجهه إلى السماء كأنما يستلهمها الصبر ، ثم

انسحب في ياس .. على حين أعلن مدير المسرح في الميكروفون ظهور
المغنية الجميلة مس .. أفالون دكستر .

وكان "لوبيين" يتوقع أن يرى ويسمع واحدة من تلك (النمر)
الثانوية التي تقدمها الملهي بين أدوار الرقص وبين النجمة الأولى
لتملاً الفراغ.. ولكنه الفى نفسه ينظر ويصفي في إمعان إلى تلك
الفتاة الباردة الحسن التي تقف وسط دائرة الضوء وهي تشدو في
صوت رخيم مؤثر وقد تهدل شعرها الذهبي فوق كتفها ، على حين
تدلت منه خصلة كبيرة فوق عينين واسعتين عسلتين تشعان سحرا
وقتنة ..

ومضت الفتاة تغني انشودة ثانية ثم ثالثة وسط عاصفة من
التصفيق والهتاف وصياح الحضور باستعادة ما تغنيه حتى
انسحبت أخيراً وخلفت "لوبيين" في عجب وحيرة من الأثر الذي تركته
في نفسه بجمالها ورخيم شدوها .. فما كان يتوقع أن يجد شيئاً كهذا
في (قبو كوكي) الذي حضر إليه ليرى شيئاً معيناً .. وقد راه .

ولم يفق من نذهوله إلا عندما سمع المنيع في الميكروفون يقول :
- والآن ايها السيدات والسادة نقدم لكم السيدة التي كنتم في
انتظارها جميعاً فاعتدل في مجلسه ، إذ انرك انه يوشك ان يرى
(كوكي) .

* * *

وكانت (كوكي) قد نهضت من مائدة مجاورة للمسرح فارتقت الدرج
المؤدي إليه ولم يملك "لوبيين" نفسه من الابتسام إذ كانت حركتها هذه
أشبه ببروز فرس البحر (سيد قشطة) من بركة عميقة .

وعاد "لوبيين" ينظر ثانياً إلى المائدة التي كان قد رآها من قبل
بنظرة عابرة دون أن يعرف (كوكي) نفسها ، إذ حرص الساقى
الخبث على كتمان هذه الحقيقة عنه ، وقد استرعى ناظره الشخصان
الذان كانا يجلسان معها .. وكانا رجلاً وامراً ..

كان أبرزهما أنثى ، ذلك الذي يرتدي سراويل الرجال شخصاً يدعى
"قرديناند بير فيلد" ، ذا وجه أشبه بوجه فتاة ، دقيق الملامح غض
البشرة تعلوه خصلة من الشعر الذهبي تحتها حاجبان دقيقان أجاد

الملقط رسمهما فاستدارا فوق عيني زرقاوين باهداب كستنائية
طويلة ، وانف روماني دقيق ، وفم مستقيم رقيق الشفتين تبدو
حمرتهما القانية كأنهما صقلتا بالطلاء اللتو ..

اجل .. فقد كان مستر بيرفيلد * .. فنانا ..

اما رفيقته فكانت امرأة ذات شعر خشن كالأسلاك المشبوبة ، وعيني
يبدو فيهما الظما واللهفة ، وشفتين برتقاليتي اللون .. عرف "لوبيين"
أنها تدعى (كاي ناتيلو) ، وأنها تقرض الشعر ..

وتحول نظر "لوبيين" إلى (كوكي) ثانية ، فهي التي تهمة أكثر من
غيرها إذا كان ثمة أساس لما سمعه عنها وجعله يدرك أنها سوف تلعب
دورا في حياته .. كانت تجلس إلى المعزف تمر عليه بأصابعها في
انتظار هدوء عاصفة الهتاف والتصفيق التي استقبلت بها ، وعلى
وجهها المكتنز ابتسامة عريضة ..

اجل .. فإن (كوكي) لم تكن تقل عن مائة وثلاثة عشر كيلو جراما في
الوزن يبدو وجهها كطبل كبير نقشت عليه عيان وانف وشفتان ..

ولكن الذي أثار عجب "لوبيين" إنما هو مראى يديها وهي تضعهما
امامها على المعزف فهما لا تشبهان أيدي النساء قط وإنما كانتا
عريضتين طويلتي الأصابع أقرب إلى أيدي اقوياء الرجال ، بحيث
خيل إلى "لوبيين" أنهما يدا أحد عمال المناجم ، أو أحد المصارعين ،
أو يدا قاتل عريق اعتاد الخنق بهما ..

ولقد أحس "لوبيين" نحوها نفورا شديدا لعل بعضه يرجع إلى
تناقض الأثر الذي أحدثه في نفسه مراها بعد (افالون بكستر) ، ولكنه
ايقن بأن امامه امرأة شريرة لا تقل خطرا عن قاتلهم من اشرار
الرجال .

* * *

وعلى الرغم من ذلك ظل محتفظا بهدوئه وبسمة البراعة التي تكسو
اساريه وهو يرقبها عندما أدنت فمها من الميكروفون الموضوع امامها
وراحت تقول في صوت عميق مسيطر :

- طاب مساؤكم ايها الاصبقاء .. إنني أسفة حقا إذ تاخرت قليلا ،
ولكني أعني ببعض اولادنا الذين تمر بهم محنة قاسية ، أعني اولئك

الابطال الذين يعملون في سفننا وقوافلنا ، ويجتازون اشد الاخطار
في الحرب والسلم على السواء .. رجال البحرية التجارية ..
واستطردت (كوكي) وهي تشير بيدها عبر القاعة :

- وإنني احب بهذه المناسبة أن تحيا الذين من اشجع الابطال الذين
مخروا عباب البحار السبعة .. " باتريك هوجان " و " اكسيل اندرمير " ..
وتحول الضوء الكاشف نحو شابين يجلسان إلى مائدة جانبية ،
فنهضا في حياء وتكلف ليردا تحية الجمهور على حين ارتد الضوء
ثانية إلى (كوكي) وكانت على اساريرها ابتسامة عريضة كأنما يرجع
إليها الفضل في عودة القافلة سالمة إلى الوطن ..
وتابعت حديثها في الميكروفون قائلة :

- وتقديرا لضييفنا العزيزين ، سوف تبدأ باغنية الملاح الاعزب
الكهل ! ..

* * *

وقد كان يكفي " لوبين " أن يسمع المقاطع الثلاثة الأولى منها ليدرك
أنها من الأغاني المبذلة التي تنتقى كلماتها في مهارة بالغة لتحتمل
وجهين من المعاني أنهما إلى الفهم يرمي إلى تنشيط الرجال وإثارة
غرائزهم ..

وما من عجب بعد ذلك أن تلقى (كوكي) كل هذا النجاح ، وتقابل
أغنيتها بالتصفيق والهتاف وصيحات الجمهور بطلب الإعادة ..
وازداد " لوبين " مقنا لها وحقدا عليها ..

وتضاعف هذا الملقن عندما تبين مبلغ ما افسدته من روعة غناء
افالون دكستر " وجميل شديها ..

وعندئذ سمع الساقى الكئيب يقول بغتة :

- لقد احضرت لك كاسا مزدوجة يا سيدي .. فهل يرضيك ذلك ؟ ..

- بلا ريب .. فهذا ما كنت انتظره طول المساء ..

وتذوق " لوبين " ذلك الالذ الذي كان في قاع الكاس ، فوجد له طعم
الشراب الاسكتلندي ، ومن ثم ابقاه فوق لسانه في احترام وتبجيل
وهو يضمن بأن يزنرد ريقه ثم راح يجيل نظراته حواليه وهو يدعو الله
أن يرى " افالون دكستر " في ركن من القاعة .

وكان من حسن حظه أن رآها !

ولا ريب أنها تسلمت إلى القاعة من باب خفي .. ففي تلك اللحظة بالذات كانت تنحني إلى الأمام لتجلس ، عندما مر بها طرف شعاع الضوء ، فلمح "لوبيين" رأسها ..

ولكنه كان أشد اهتماما بالمائدة التي جلست إليها ..

فقد كانت قريبة منه ، كما كانت هي المائدة التي ظل يوليها اهتمامه منذ أن اختار مجلسه بالقرب منها .. فهي مائدة الرجل الذي جاء "لوبيين" إلى (قبو كوكي) خصيصا ليراه ..

ولذلك كانت دهشته بالغة عندما رأى "أفالون دكستر" تجلس مع الدكتور "ارنست زلرمان" .

ولم يكن لديه - بعد - ما يأخذه على الدكتور "زلرمان" ..

فالرجل طبيب نفسي يحمل إجازات علمية قانونية ، ويتخذ عيادته في "بارك أفنيو" ويكثر من الظهور في أرقى المجتمعات ، وينتقي عملاءه من أرفع الطبقات قدرأ .. كما لم يكن "لوبيين" يأخذ عليه بالمثل أنه فارغ الطول منتصب القامة ، مهيب الطلعة ، اشتعل رأسه شيباً قبل الألوان، ذو وجه ناعم البشرة ، وفم رقيق الشفتين ، وأنف دقيق ارستقراطي وحاجبين كثيفين حالكي السواد ، وعينين عميقتين ثاقبتين النظرات غارتا قليلا بين وجنتيه البارزتين .. كلا .. لم يكن "لوبيين" يأخذ عليه شيئاً من ذلك كله ، بينما كان يرقبه من طرف خفي وهو يجلس وحيداً إلى مائدته كما يفعل هو .. ولكن كانت لديه أسباب أخرى تدفعه إلى بغض الدكتور "زلرمان" ، . والحق عليه .. منها ما سمعه من صديقه "هاملتون" عندما خاطبه تليفونيا من "واشنطن" ، ومنها ما عرفه من تحرياته الخاصة .. فقد كان سلوك الطبيب النفسي معيباً، لا يتفق ومكانته الاجتماعية ، إذ كان زير نساء لا يتورع عن غشيان دور اللهو مثل (قبو كوكي) ؛ وعندئذ تراه يجالس الفتيات ويداعبهن ويهمس في أذانهن ويربت بيده الرقيقة أكتافهن وظهورهن العارية .. ومن ثم اضطرم حقد "لوبيين" عندما رأى (أفالون دكستر) تجالس هذا الطبيب المتهتك دون رواد الملهى جميعاً .. ونسي "كوكي" واغنيتهما ، ولم يعد يهتم بشيء إلا بمراقبة الدكتور "زلرمان" وترقب

مسلكه مع الفتاة.. وقد دهش "لوبيـن" حقا لشعوره هذا ، فما الذي
يعنيه من تحبب الطبيب إلى المغنية ؟ ..
وما أدراه أنها سوف تستجيب لمداعباته وهمساته ؟ ولكنه كان قد
أعجب بالفتاة ، وبمظاهر البراعة التي ترتسم على أساريرها ، فنهشت
الغيرة فؤاده ..

* * *

وكان يتقلب على الجمر وهو يراها تدفع مخالب الطبيب مرة بعد
الأخرى عن ذراعيها وكتفيها ، أو عندما بفعت رأسها إلى الخلف في
نفور واشمئزاز استنكارا لأمر لا ريب أن "زلمان" كان يهمس به في
أذنها ..

ولم يعد "لوبيـن" يتمنى إلا أن تتاح له الفرصة ليظهر استنكاره لمسلك
الطبيب الشيخ المتصابي ، ونفوره من أعماله جميعا ..
وقد اتاحت له تلك الفرصة ..

فبينما كانت (كوكي) في ذروة اغنيتها الرقيقة ، رأى "لوبيـن" يد
"أفالون دكستر" ترتفع ثم تهوي في صفة مدمية على وجه الطبيب
الوقور .. صفة لم يسمعها أحد في الملهى إذ ضاعت وسط الهتاف
والتصفيق ، ولم يرها سوى "لوبيـن" الذي كان منصرفا بكليته إلى
الطبيب ورفيقته .. كما رأى الفتاة تنهض غاضبة و "زلمان" يمسك
بها من ذراعها في قوة ويعيدها إلى مقعدها قسرا ..

وعندئذ تمطى "لوبيـن" ونهض في هدوء ، فشق طريقه وسط الموائد
في خطى خفيفة كالغهد .. ولم يبال بانتهاء (كوكي) من اغنيتها ، ولا
بإضاءة الأنوار في القاعة ، ولم يكثر بالانظار التي سوف تتجه
نحوه .. فقد تسلطت عليه فكرة واحدة ، هي التي مضى لتنفيذها ..

وفي حركات وثيدة ، اتجه "لوبيـن" نحو الدكتور "زلمان" ،
وأمسك بتلابيبه ، فرفعه من مقعده ، والرجل يحملق النظر إليه
دهشة ، بينما كان "لوبيـن" يقول :

- ما كان ينبغي لك أن تفعل شيئا كهذا ! ..

فراح الدكتور "زلمان" يحرق النظر إلى العينين الزرقاوين اللتين
تبدو فيهما لمحة غريبة من السخرية والتهكم ، واستولى عليه نعر

مباغت ظهر اثره في الحركة التي جذب بها نفسه من قبضة "لوبيين" وهو يستدير ناحيته .. ولكن "لوبيين" صوب إلى وجهه لكمة هائلة أصابته فوق عينيه وشفعها بأخرى استقرت فوق فمه ، وإذا بالدكتور "زلمان" يتهاوى فوق مقعده وسط رنين الأواني وصوت الزجاج المحطم ، عندما انقلبت المائدة ، بينما كان يحاول التشبث بها .. ووقف "لوبيين" أمامه يحدجه بنظرة قاسية ، قائلاً :

- حسناً .. لعل في هذا درساً ينفعك !

- ٢ -

ران الصمت العميق لحظة على القاعة ، كما لا يحدث قط في ملهى كهذا في أثناء ساعات العمل ، وما لبثت الضجة أن انبعثت من جديد ، إذ اندفع الحضور واقفين بغتة ، يدققون النظر ، وارتفع صوت سقوط المقاعد ، وهرع السقاء والخدم إلى المكان الذي نشب فيه العراك . ولكن "لوبيين" لم يعبا بشيء من ذلك ، كأنه لم يشعر بما اثاره في القاعة ، والتفت نحو "أفالون بكستر" قائلاً :

- إنني لشديد الأسف .. وأرجو ألا يكون ثوبك قد سقط عليه شيء

فرمقته بنظرة غير مستقرة ، كانت فيها ومضة من الدهشة المزروجة بالرضا ، تخالطها لمحة من الخوف والقلق ، وما لبثت أن افترت شفاتها في غبطة وغمغمت :

- شكراً لك ..

وفي تلك اللحظة كانت الحملة التاديبية قد وصلت إلى المكان الذي يقف فيه الثائر ، ممثلة في شخص كبير السقاء عريض المنكبين مفتول الذراعين الذي أمسك بذراع "لوبيين" قائلاً في خشونة :

- ما هذه الضجة كلها ؟

فأجابه في مرح :

- لقد كنت أرب صديقي هذا على رقصة جديدة .. فهل تحب أن أعلمك إياها ، أم تدع ذراعي ؟

وأحس الرجل بعضلات "لوبيين" الفولانية تختلج تحت يده ، كما رأى نظراته الهائلة تحدجه في صرامة فتردد قليلاً ..

وعندئذ قالت " افالون " :

- لا بأس يا "جُو" .. دعه ..

وخلص " لوبين " ذراعه في رفق وهو يخرج علبة لفافاتة ، ثم راح يتفريس في الدكتور " زلرمان " في تلذذ ومرح ، وهو يجاهد في التخلص من غطاء المائدة الذي التف حوله في اثناء سقوطه .. واستطرد " لوبين " :

- ومن سوء الحظ ان صديقي لم يستغرق وقتاً طويلاً في التدريب ، فسقط واصيب وجهه .. وهي حوائث كثيرة الوقوع كما تعلم ..
ونهض الدكتور " زلرمان " على قدميه بمعاونة أحد السقا ، وقد تورمت عيناه وانساب خيط من الدماء من فمه ، فراح يتحدث في غير وعي إلى " لوبين " كشخص اصابه مس من الجنون ، ولم يكف عن هذيانه حتى قدمت " كوكي " بنفسها وشقت لنفسها طريقاً وسط حلقة المحتشدين . وما كان " لوبين " يتوقع ان تكون على هذه الدمامة بعد ان غاضت ابتسامتها التقليدية وبدا وجهها صارماً عبوساً ، كما نالقت غضباً في نظرات باردة كأنهما عينا افعى شديدة الضراوة وهي تقول لـ " زلرمان " :

- ما الذي حدث ؟

فانطلق الطبيب صاحباً وهو يضغط على كلماته ضغطاً شديداً :
- لقد اعتدى علي هذا الوغد الوقح لغير سبب البتة ..
فقاطعه " لوبين " قائلاً :

- او لسبب يسير ، هو انني رايتك تجذب مس " دكستر " من ذراعها في خشونة ..

- لانها صفعنتني ..

- ولقد احسنت في ذلك .. فانني رايت ما كنت تفعله معها ..
فراحت " كوكي " تنقل نظراتها من وجه إلى آخر ، حتى استقرت على الفتاة قائلة :

- لقد فهمت .. ما الذي شربته الليلة يا " افالون " ؟

فتدخل " لوبين " قائلاً :

- الواقع يا " كوكي " ان المرء اذا اراد ان يثمل من المشروبات التي

تقدمينها هنا ، لوجب ان يظل يشرب حتى الصباح ..
- احب ان اعلم بحق السماء كيف جرؤت على إهانة زبائني ؟
وتدخل " لوبين " مرة اخرى منذ رأى الابتسامة الخفيفة على شفتي
الفتاة :

- إنه هو الذي اهانها أولاً يا " كوكي " .
فصاح " زلرمان " :
- ايها الكاذب القذر !
ولكن " لوبين " استطرد في هدوء :
- وبذلك دفعها إلى صفعه .. فقد رايت بنفسي ما حدث كله .. ولست
انري لماذا لا تامرین بطرده من المكان ، حتى يمكننا الاستمرار في بقية
البرنامج ؟ .. فحججته كوكي " بنظرة وقالت :
- لا تتدخل في شؤون غيرك من فضلك ..
ثم استدارت نحو الفتاة قائلة :

- اينها الحمقاء السكرى ! لقد ضقت ذرعاً بسخافاتك واغنيتك
الكريهة . فلم تنتظر " افالون " بقية ما تريد المرأة ان تقوله ، وإنما
توجهت عيناها إليها من فرط الغضب وصاحت :

- بل لقد ضقت أنا ذرعاً بهذا الوكر اللعين الذي تديرينه ويمكنك ان
تنهبي وعملك إلى الجحيم . !

ثم استدارت في عنف وأسرعت خارجة ، وعندئذ ران على المكان كله
صمت عميق كما حدث اول مرة ..

وواجهته " كوكي " لحظة ، ثم قالت :

- من أنت بحق السماء ؟

- اسمي " ارسين لوبين " ..

قالها في سهولة ورفق كما ينطق بأي اسم عادي .. ومع ذلك فقد كان
لهاتين الكلمتين من الأثر ما يفوق السحر ، إذ تراجع كبير السقاة
العملاق إلى الوراء خطوة وهو يغمغم :

" يا إلهي " .. بينما جمعت يد الدكتور " زلرمان " التي كان يمسح بها
الدماء المنسابة من ركن فمه ، وظل على هذا الوضع لا يحير حراكاً ..
في حين سكنت " كوكي " في مكانها وقد شلت حركتها ولم يتغير فيها

سوى نظراتها إذ خالطتها لحة من القلق والاضطراب ..
وأردف "لوبين" قائلاً :

- وإِنَّه ليسرني أن قابلتكم جميعاً الليلة .. ولكنني أحب الآن أن ادفع حسابي وأخرج إلى الهواء الطلق ..
وما كاد يتم عبارته حتى كان الساقى الكئيب يعد إليه يده بقائمة الحساب ..

ولكن "كوكي" بدأت تقول في صوت يسيل رقة وتوددا :
- مهلاً لحظة يا مستر "لوبين" .. فمثل هذه الأشياء تحدث كثيراً في النوادي الليلية ، وكلنا نعلم ذلك .. وما قصدت البتة أن أسيء إليك ولكنني كنت شديدة الانفعال مما حدث . فهلا جلست وتناولت معي كأساً من الشراب ؟
فاجابها في هدوء :

- كلا ، شكراً .. لقد تناولت الليلة من شرابك ما فيه الكفاية !
ثم أخرج من جيبه ورقة مالية ألقي بها إلى الساقى في حركة تنم عن أنه لا يريد بقيتها بينما كانت "كوكي" تقول :
- لا ريب أنك كنت تعتقد صواب ما فعلته ، ولكنك لو علمت يا مستر "لوبين" أي عناء القاء من تلك الحمقاء الصغيرة ، فإنني واثقة ..
- بل إنني واثق تماماً من أن "أفالون" على حق ، وسوف يكون لي شأن مع الدكتور "زلمان" يوماً من الأيام ..

ثم استدار على عقبه ، ومضى يجتاز القاعة بخطواته الطويلة وقد بدا عليه الضيق والملل من المكان ، كما كان يود بكل جوارحه أن يلحق بالفتاة في الطريق قبل أن تختفي عن الانتظار . وكان يعبر الباب عندما التقى بـ"فريدريك بيرفيلد" في طريقه إلى المغسل ، فامسك بيده قائلاً في مرح :

- ألا ترى يا عزيزي "فردى" أن طلاء الانفجار الذي تستعمله لا يلائم بشرتك ؟ هذا لو انتقيت طلاء بتفسيجي اللون . فتململ مستر "بيرفيلد" وجذب يده الرقيقة وهو يغمغم :
- اه .. أنت !

فترك "لوبين" يده وأسرع إلى الطريق ..

وكانت " افالون " واقفة على الإفريز تتحدث مع حارس المبنى وهو
يمسك لها باب السيارة التي كانت تستقلها عندما خرج " لوبين " من
الملهى .. وقبل أن يستطيع الحارس إحصاء الباب كان " لوبين " يصعد
إلى السيارة ويجلس إلى جانب الفتاة ورأى الحارس أنها لم تعترض
فأوصد الباب ومضى لشأنه ..

وراحت الفتاة تنظر إليه في صمت ..

وكان " لوبين " يتأملها وعلى شفثيه ابتسامة رقيقة ...

وأخيرا قالت :

- طاب صباحك .. أخشى أن أكون قد أفسدت عليك سهرتك ..

- بل إنني الملوم .. وقد لحقت بك إذ ظننت أنه يحسن بي أن أقدم لك
كاسا من الشراب في مكان آخر لنزيل طعم ذلك الشراب الكريه من
فيهينا ..

- شكراً .. ولكني رأيت الليلة ما يكفي من ملهى ليلي واحد ..

فتردد " لوبين " لحظة ثم قال :

- هل تسمحين إذن بأن أصبحك حتى مسكنك ؟

فتفرست فيه بعينيها البريقتين برهة ، قبل أن تقول :

- بلا ريب . هيا بنا .

ثم ذكرت للسائق عنوانها بميدان " ستون " .. فما كادت السيارة
تدرج بهما حتى سألها " لوبين " في اهتمام :

- أو تقطين هناك ؟ .. لا ريب أنك تربحين كثيراً ..

- إن المسكن الذي أقطنه ليس مرتفع الأجر .. كما أنني اشتغل
بانتظام ..

- أرجو ألا أكون قد تسببت في تركك لعملك ؟ ..

- اه ! .. لا .. سوف أحصل سريعاً على عمل آخر . ثم إنني كنت

أتوق إلى شيء من التغيير على كل حال ، وكان ينبغي أن أترك " كوكي " -
عاجلاً أو آجلاً ..

وعادت ترمقه بنظراتها في دهشة بالغة ، وأردفت :

- ولكنك لم تخبرني من أنت ؟ ..

- اسمي " أرسين لوبين " ! ..

فانتفضت الفتاة ، وغمغت :

- اه ! .. كان ينبغي أن أدرك ذلك . فما من أحد يجرؤ على فعل ما فعلت ولكن هل عرفوك ؟

- لقد أخبرتهم باسمي ..

- شد ما وددت أن أرى وجه "كوكي" وقتئذ !

- كانت أشبه بضفدعة تلقى حوقا ..

فقهقهت الفتاة في جذل .. ثم راحا يتحدثان حتى بلغت بهما السيارة مسكنها ، فقالت وهو يعينها على الهبوط :

- هلا أتيت لحظة ، فاقدم لك كأسا من الشراب الحقيقي ؟

- هذا ما أشعر بحاجتي إليه حقا !

ثم سار بجوارها في يسر كأنهما قد تعارفا منذ عشرات السنين ، لا منذ ساعات .

* * *

كانت حجرة الجلوس فسيحة هائلة ذات اثاث وثير ، بها خزانة للكتب وجهاز راديو ومعرف صغير ، تطل نوافذها على حديقة كبيرة متصلة بالنهر .

وما كاد "لوبين" يلجها حتى أحس بالهدوء والدعة ، خصوصا وأن ضوءاء الطريق لا تصل إليها وكأنهما قد خلفا المدينة وراءهما بمئات الكيلومترات .

ومضت "أفالون" تعد الشراب ، فذهب "لوبين" إلى خزانة الكتب وراح يقلب في محتوياتها فالقهاها تحوي مجموعة من كتب الأدب الرفيع لأشهر المؤلفين العالميين أمثال "برناردشو" و "إميل لودفيج" وأمثالهما .

فلما عادت قال لها :

- يبدو أنك تحبين القراءة .

- ينبغي أن أغذي عقلي بين أونة وأخرى .. وإن كنت من مغنيات النوادي الليلية ، ولكني درست بمدرسة "سميث" وثلت شهادتي من جامعة "كاليفورنيا" ولذا لا حيلة لي في الأمر إذا شعرت أحيانا بالحاجة إلى القراءة والابتعاد بفكري عن هذه الأوكار .

فابتسم "لوبيين" وقال :

- إنني أدرك ما تعنيه تماما .

ومضى إلى المعزف ، فوضع كاسه فوقه ثم جلس امامه وراح يداعب الأوتار باصابعه في لين .

وكف عن العزف فجأة ، وتناول كاسه ، ثم مضى إلى حيث كانت "أفالون" جالسة فوق الأريكة فجلس بجوارها وسالها :

- ما الذي تعرفينه عن "زلمان" ؟

- لست أعرف عنه الكثير .. فهو طبيب يقطن "بارك أفينو" ويقال إنه تمسوي فر من "فيينا" قبل أن يحتلها الغازون بقليل لاجئا إلى أمريكا) .. ولكنه لم يفقد شيئا من ثروته في أثناء فراره .. كما أنه يربح كثيرا هنا .. ولم انهب إلى عيادته قط ، ولكن يقال إنها أشبه بأحد معارض هوليوود ، كما أن سجل عملائه ، ومواعيد زياراتهم أشبه بسجل التشريفات في البيت الأبيض ، لا يحوي إلا الأسماء اللمعة الرنانة .. ولديه ممرضة شقراء لاستقبال الزوار ربما كانت مهمتها أن تزيد الاضطرابات النفسية للذكور منهم ، قبل أن يبدعوا العلاج حتى يطول أمده ، ثم إن له مصحة خاصة في ولاية (كنيكتيكت) يقال إنها من أحسن المصحات وافخمها في الولايات المتحدة ، يلجا إليها العظماء من المرضى ليتخلصوا من قيود المجتمع والتقاليد فيصنعوا ما يطيّب لهم أن يصنعوه ثم يؤدوا بعد ذلك أي ثمن يطلب منهم ادأؤه .

- آتعتين انهم إذا طاب لهم تمزيق ثياب إحدى الممرضات أو سكب

الحساء فوق رأس أحد الخدم ، فعملوا بغير حرج ، مقابل ثمن معين ؟

- إنه شيء كهذا فيما يخيّل إلي .. ويقول الدكتور "زلمان" إن معظم الاضطرابات العقلية والنفسية تنشأ من كبت بعض الناس رغباتهم الشخصية ، مضطرين إلى هذا الكبت بحكم التقاليد التي يخضعون لها .. ومن ثم فإن الطريقة المثلى لعلاجهم هي إبعادهم عن هذه التقاليد ورفع الحظر عنهم لفعل ما يشتهون .. فإذا ما اطاعوا غرائزهم ووحى نفوسهم ، واشبعوا مواطن الضعف من عقولهم ، استطاعوا بعد ذلك بدء حياتهم من جديد ، وشفوا من أمراضهم .

فابتسم "لوبيين" قائلا :

- يبدو أنه لا يكبت رغباته الشخصية كما رأيت الليلة ! .
- فهزت الفتاة كتفيها في غير اكتراث ، وقالت :
- إنك تلتقي بأمثال هذه الزواحف في النوادي الليلية دائما وكان ينبغي أن أجاريه وأن اكظم غضبي .. ولكن يا للجحيم لم يكن في وسعي أن أصبر أكثر مما صبرت .
- لا ريب أنك قابلته من قبل ؟
- بالتأكيد .. فإنه يرتاد الملهى دائما .. وقد قدمته لي " كوكي " نفسها ، فهو أحد المقربين إليها .
- هكذا فهمت .. ولكن هل تحبه ، أم أنه يعالجها ؟ في رأيي أن التوغل إلى أعماق أفكارها ونفسيته ، قد يؤدي إلى نتيجة مثمرة .
- تماما .. ولكنني لن أفعل ذلك إلا إذا كنت مزودة بوسائل الدفاع .
- فقهقه " لوبين " وقال :
- إنها أشبه بنذبة ضارية ، اليس كذلك ؟
- بلى .. ومع ذلك فإن الناس يحبونها ..
- ربما كان الأمر كذلك .. ولكنها أوجت إلي بشعور عجيب لا أدري كنهه .. فمنذ أن رايتها أحسست بأنها أول امرأة التقى بها ، فشعرت بأنها ملأى بالشر والرديلة .
- لعلك على حق .. فهي امرأة مخيفة .
- وإنني لاتخيلها تحمل السوط في يدها في أحد مراكز الرقيق الأبيض .. أو تشرف على ملجأ للأطفال لتخنقهم واحدا بعد الآخر وتدفعهم في الغناء الخلفي .
- فضحكت " أفالون " ملء شديها ، وقالت :
- ربما لم تكن مخطئاً .. فلم تظهر في المدينة إلا منذ سنتين ، ولا يعرف أحد على وجه التحقيق ما كانت تفعله من قبل .. لعلها كانت كما تقول قبل أن تجد وسيلة أخرى لكسب المال أسلم عاقبة وأكثر أمناً ..
- فعبس " لوبين " قليلاً وقال :
- ومع ذلك فقد أخبرني الساقى عن ذلك المقصف الخيري الذي أنشأته للبحارة .
- تعني " مقصف كوكي " ؟ نعم .. إنه أحد مبتكراتها الأخيرة .

- هل هو أحد فروع إدارة الترفيه التي تشرف عليها الحكومة ؟
- كلا .. كلا .. إنها مؤسسة قائمة بذاتها تنفق عليها " كوكي " من مالها الخاص ، وتقدم فيها القهوة والشطائر والحلوى للبحارة ، كما اعبت بعض الفتيات لخدمتهم والقيام على راحتهم ..

- هل ذهبت إلى هناك ؟
- لقد غنيت هناك مرتين أو ثلاثا .. وهو في الشارع الخمسين بالقرب من "الافنيو" التاسع .

- هل أفهم من ذلك أنها لا تربح شيئا من هذا المقصف ؟ اترأها تحب الخير لذاته أم أنها وسيلة للإعلان عن نفسها ، أم لها ولع خاص بهؤلاء الفتيان الشجعان الذين يركبون الاخطار ؟

- ربما كانت هذه الاسباب جميعها مجتمعة .. أو لعل ركنا في ضميرها قد استيقظ أخيراً فأحبت أن تكفر عن بعض سيئاتها .. ومهما يكن من أمر فأنتني شديدة الابتهاج لخلاصي منها الليلة .. هلا ملأت كاسينا ؟

فمضى " لوبين " إلى حيث كانت زجاجة الشراب فوق الخوان وراح يصب منها في الكاسين ويمزجها بالصودا .. وفي أثناء ذلك كان يحس بأن حظه قد أشرق عليه الليلة نجم ساطع بزغ فجأة .. فقد راح يلقي أسئلة بريئة المظهر وعلم أشياء كثيرة باللغة الأهمية خلال ساعات معدودات.. وكان المقصف الذي أنشأته " كوكي " للبحارة هو المحور الذي تدور حوله افكاره الآن وبوده لو يفهم السر في هذه الأريحية الغريبة .. وبدا له أنه قد مضى إلى أكثر من الخطوة الأولى في سبيل اقتفاء الأثر الغامض الذي كان يحاول تتبعه .
وعاد بالشراب إلى الأريكة واتخذ مجلسه ثانية وبدأ يخرج الحافة من علبته عندما قالت الفتاة :

- شد ما اعجب مما جاء بك إلى وكر كهذا في هذه الليلة !
- إنه الفضول ، والحظ السعيد معا .. فقد كنت مع بعض الأصدقاء ولم ترق لي صحبتهم ، فتلصصت منهم وشعرت بالحاجة إلى كأس من الشراب .. ووجدت نفسي وقتئذ أمام الباب ، فدخلت .. وكان من حسن طالعني أن رأيتك ! .. وكان يكذب عليها .. ولكن هل كان في وسعه أن

يصدقها القول في حقيقة السبب الذي جاء إلى "قبو كوكي" من أجله؟..

واستطرد :

- وعنديّ سمعتك تغنين ..

- وهل أعجبك غنائي ؟

- لقد كان سحر "هاروت" !

- هل تعلم أنني رأيتك قبل أن أبدا ، فرحت أغني من أجلك ؟ ..

فاشعل لفافته وهو يختلس إليها النظر خلال ومضات الثقاب ثم

قال :

- لم أكن أعلم أنني الفت النظر إلى هذا الحد !

- أخشى أن تكون كذلك ..

- لو علمت حقيقتي لما أحببتني .. فإني لست من المواطنين

المحترمين .. فانا أسطو على الناس وافتح الخزائن وبعض الناس

يمقتونني إلى حد يدفعهم إلى أن يرسلوا إلي القنابل داخل طرود

البريد ، كما أن رجال البوليس يبحثون دائما عن سبب يتعللون به

للقبض علي .. إن حياتي ليست ناعمة أو مستقرة كما تحسبن ..

- وأنا بالمثل ليس في حياتي شيء من الهدوء أو الاستقرار . نحن

متفقان في ذلك .

فلم يجب "توبين" وراح ينفث دخان لفافته وهو يحدق النظر إليها

وعلى شفثيه ابتسامة شاحبة .

وكان عليه أن يقول شيئا ، ولكنه لم يعرف ما ينبغي أن يقول ..

وانبعث رنين الجرس فجأة فوفر عليه هذا العناء ..

واجفلت الفتاة ، ثم اعتذرت إليه ومضت خلال الردهة الطويلة

فسمع صوت الباب يفتح ، كما بلغ مسامعه صوت ذو رنين معدني حاد

يقول :

- هاللو يا عزيزتي .. يسرني أنني لم أوقفك من نومك .. هل

تسمحين لي بالدخول لحظة ؟

وبعد تردد يسير قالت "أفالون" :

- بلالريب .. تفضلي ..

وسمع "لوبيين" صوت الباب الخارجي يوحد ثم حفيف الثياب ، ثم ذلك الصوت المعدني يقول :

- أخشى أن أكون قد أثقلت عليك ..

- لا تكوني بلهاء .. تعالي ..

وفي اللحظة التالية كانتا في مدخل الحجرة ، فنهض "لوبيين" في تراج بينما كانت "أفالون" تقول :

- مستر "أرسين لوبيين" .. مس "كاي ناتيللو" .

فحنى "لوبيين" رأسه ، على حين استطردت "أفالون" :

- تعالي يا "كاي" .. هيا اجلسي وشاركينا في كأس من الشراب .

ولكن "كاي ناتيللو" ظلت واقفة على باب الغرفة وهي تعبت باصابعها في شفتها البرتقالية اللون ، وتفرس في "لوبيين" في اهتمام كبير .. وما لبثت أن قالت :

- لقد رايت مستر "لوبيين" الليلة . عند "كوكي" .

فاجابها في تراج :

- نعم .. لقد أمضيت هناك بعض الوقت ..

فجلست "أفالون" وراحت تكرر دعوتها للمرأة أن تتناول بعض الشراب ، ولكنها لم تتحرك من مكانها ، وقالت :

- شكرا .. ولكنني لن أبقى طويلا .. فلم أكن أعرف أنك في رفقة أحد ..

فهتفت "أفالون" ، وقد بدا عليها الحرج :

- دعك من هذا السخف ! .. لماذا حضرت إذن إلا أن تكوني قد أردت الجلوس معي بعض الوقت ؟

- إن لدي رسالة لك ، فإذا سمح مستر "لوبيين" ..

- إذا كانت الرسالة من "كوكي" فإن مستر "لوبيين" كان حاضرا ما

حدث ولن يضيره أن يسمعها .

فترددت المرأة برهة وهي تقلب البصر بين "لوبيين" و"أفالون" ثم قالت :

- حسنا .. إني لم أكن أود الحضور إلى هنا نولا أن رايت اهتمام

"كوكي" بالأمر .. فقد كانت ثائرة الأعصاب ، أعيائها الثمل بحيث لم تنملك نفسها تماما .. وهذا ما يزيدنا أسى وحزنا .. وهي تريد منك

ان تنسي كل ما حدث . اعني انها ترغب في عودتك إلى العمل معها .
فقالت " افالون " في صراحتها المعهودة :

- إذا كانت أسفة حقا فلماذا لم تحضر بنفسها إلى هنا ؟ ..
- انك تعرفين كيف تكون " كوكي " عندما تظلم .. ولكنها أسفة حقا .
- حسنا .. يمكنها عندما تفيق ان تتصل بي .. فهي تعرف اين تجديني .

- إنني أقدر شعورك تماما يا عزيزتي .. ولكنني جئت إليك لأنها رجتني أن أفعل هذا نيابة عنها .. وهانذا ذاهبة الآن ..
فنهضت " افالون " ، قائلة في تودد :

- حسنا يا عزيزتي .. لقد احتملت الكثير من " كوكي " من قبل ..
ولكنها الليلة قد جاوزت كل حد .

- إنك تعرفين طبعها .. وإنني أسفة !
وتحولت عيناها الجامدتان إلى " لويين " ثانية وهي تقول :
- طابت ليلتك يا مستر " لويين " .. يسرني ان رايتك ..
ثم تحولت بغثة إلى الردهة خارجة .. فلما أوصدت " افالون " الباب خلفها وعادت إلى الحجرة ، قالت وهي تبتسم :
- حسنا .. هل يرضيك هذا ؟
- كلا ..

- إنها عادة " كوكي " أن تبعث بمن يعتذر نيابة عنها ، إذ يابى عليها كبرياؤها أن تفعل ذلك بنفسها .. ولكن هذه المرة لن ..
- أخشى أن يكون قد فاتك شيء مهم .. فإن " كاي " ناتيللو " لم تحضر إلى هنا لتحمل إليك اعتذار " كوكي " .. لقد تركت الملهى بطريقة رائعة ،
ثم انصرفت بدوري على الأثر ولذلك أرسلت " كاي " خلفك لترى إن كان ثمة صلة بينك وبينني .. ولم تكن توجد أية صلة بيننا في الواقع ،
ولكن ها هي ذي " كاي " ناتيللو " قد رأت غير ذلك .
فتطلعت إليه الفتاة دهشة ، وقالت :

- وماذا في ذلك ؟

- فيه أنني " زججت " بك دون قصد مني في مخاطرة كبيرة ..
فازدادت دهشة الفتاة وغمغمت :

- هل تعني أن نهايك إلى الملهى الليلي لم يكن بمحض الصدفة ؟

- لعل الأمر كذلك !

فسأله الفتاة باهتمام :

- هلا أخبرتني بحق السماء عما يدور حولي ؟ إنني لا أفهم شيئا .

- تلك خير لك الآن .. ومهما يكن فإنني لم أكن أود البتة أن يراني

أحد من اتباع " كوكي " عندك .. أما وقد وقع المحذور فينبغي أن
تتخذني حذرك.

- اتعني أن ثمة خطرا يتهددني ؟

- لست أحب أن أخيفك .. ولكن هذا هو الواقع .

- إنني لا أخاف شيئا .. ولكن ألا تخبرني بجلية الأمر ؟

فهز رأسه سلبا وقال :

- لا يمكنني ذلك الآن ، فقد أخبرتك بأكثر مما ينبغي .. ولكن كان

يجب أن أحذرك .. ثم إنه كلما قل ما تعرفين كان ذلك أسلم عاقبة لك ..

وربما كنت مغاليا في ظنوني ، ولكن الأفضل أن تذكرني أنني دافعت

عنك في الملهى ثم لحقت بك فرايت من اللياقة أن تدعيني إلى تناول

كاس من الشراب وهذه هي كل الصلة التي تربطنا .

فلم تحر الفتاة جوابا ، إذ عقدت الدهشة والانفعال لسانها بينما

استطرد "لويين" :

- لقد أوشك الفجر أن يبرز يا "أفالون" ، فهلا طردتني من مسكنك

الآن؟

- ٣ -

استيقظ "لويين" على رنين جرس التليفون الموضوع بجوار فراشه .

فتناول المسماع وإذا به يسمع قائلا يقول :

- مرحبا .. مستر "لويين" ؟

وكان الصوت مألوا لديه ، ولو أن نبراتة كانت تختلف عن آخر مرة

سمعها فيها .

- أجل .. من المتكلم ؟

- إنني الدكتور "أرنست زلمان" .. أرجو ألا أكون قد أيقظتك من

النوم !

فَنظَرُ "لُوبِين" إِلَى سَاعَةِ يَدِهِ ، وَإِذَا بِهَا قَدْ جَاوَزَتْ الظَّهْرَ بِقَلِيلٍ ،
فَابْتَسَمَ قَائِلًا :

- أَمْ .. كَلَّا .. كَيْفَ حَالُكَ ؟

- إِنِّي مَدِينٌ لَكَ بِالْإِعْتِذَارِ يَا مَسْتَرُ "لُوبِين" .. فَقَدْ شَرِبْتُ كَثِيرًا
لَيْلَةَ الْأَمْسِ ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الشَّرَابَ لَا يُوَثِّرُ فِي عَادَةِ فَإِنِّي لَا أَدْرِي
لِمَاذَا كَانَ أَثَرُهُ شَدِيدًا بِالْأَمْسِ حَتَّى جَعَلَنِي أَسْلَكَ مَسْلَكًا لَا يَغْفِرُ .. أَمَّا
لَهْجَتِي مَعَكَ ، فَإِنِّي أَفْضَلُ أَنْ أُنْسَى مَا قُلْتَهُ .. وَقَدْ اسْتَحَقَّقْتُ مَا حَدَثَ
لِي ، وَلَوْ كُنْتُ فِي مَكَانِكَ لَمَا فَعَلْتُ غَيْرَ الَّذِي فَعَلْتُ أَنْتَ .

وَكَانَ صَوْتُ الطَّبِيبِ بِفَيْضِ رَقَّةٍ وَيَقْطُرِ عَذُوبَةٍ وَاسْفًا .. وَهُوَ صَوْتُ
الرَّجُلِ الَّذِي يَعْرِفُ مَا يَقُولُ وَيُوحِي إِلَيْكَ بِالثَّقَّةِ ، وَيَدْعُوكَ إِلَى الْإِفْضَاءِ
لِصَاحِبِكَ بِمَتَاعِكَ .

فَقَالَ "لُوبِين" فِي لَيْنٍ :

- لَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّكَ لَنْ تَحْنُقَ عَلَيَّ .. إِذْ إِنِّي إِنَّمَا كُنْتُ أَعْمَلُ بِوَحْيِ
تَعَالِيمِكَ! ..

فَقَدْ فَعَلْتُ مَا أَوْحَتْهُ إِلَيْكَ غَرَائِزُكَ كَمَا أَنَّي لَمْ أَفْعَلْ إِلَّا مَا أَمَلَتْهُ عَلَيَّ
غَرَائِزِي بِالْمَثَلِ .

- تَمَامًا .. إِنَّكَ عَلَى حَقٍّ تَمَامًا .. وَإِنِّي أَهْنُوكَ عَلَى ذَلِكَ وَيُؤَسِّفُنِي أَنْ
يَبْدَأَ تَعَارُفُنَا بِهَذَا الْحَادِثِ .

- لَا تَفَكَّرْ فِي الْأَمْرِ يَا عَزِيزِي الدَّكْتُور .. وَإِذَا نَشَطَّتْ غَرَائِزُكَ مَرَّةً
أُخْرَى فَإِنِّي عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِقَبُولِ التَّعَارُفِ .

- إِنْ أَسْفَى يَا مَسْتَرُ "لُوبِين" أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُمْكِنَنِي التَّعْبِيرُ عَنْهُ وَإِنْ
لَدَيَّ اعْتِرَافًا يَنْبَغِي أَنْ أَدْلِي بِهِ .. فَالْوَاقِعُ أَنَّي مِنْ أَشَدِّ الْمُعْجِبِينَ بِكَ ،
وَقَدْ قَرَأْتُ الْكَثِيرَ عَنْكَ فَكُنْتُ دَائِمًا أَرَاكَ نُمُودَجًا لِلتَّعَالِيمِ وَالْمُبَادِئِ الَّتِي
تَشِيرُ إِلَيْهَا .. لِلرَّجُلِ الَّذِي لَا يَتَرَدَّدُ لِحِظَةٍ فِي تَحْدِي الثَّقَالِيدِ وَقِيُودِ
الْمَجْتَمَعِ إِذَا عَرَفَ أَنَّهُ عَلَى حَقٍّ .. وَقَدْ كَانَ الْحَادِثُ الَّذِي وَقَعَ بَيْنَنَا
بِالْأَمْسِ خَيْرَ دَلِيلٍ عَلَى صِدْقِ نَظَرِيَّتِي ، وَلَوْ أَنَّ هَذَا الدَّلِيلَ كَانَ عَلَى
حِسَابِي .

- سَوْفَ تَجِدُ مِنِّي الْمَزِيدَ مِنَ الْأَدَلَةِ يَا عَزِيزِي .

- مَا دَامَتْ لَدَيْكَ هَذِهِ الرَّغْبَةُ يَا مَسْتَرُ "لُوبِين" فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَتَّحِجَ

لي شرف مقابلتك مقابلة خاصة .
 فنفت " لوبين " دحان لغافته نحو السقف قبل أن يقول :
 - أخشى أن تكون مشاغلي .
 - بلا ريب .. إنني أعرف كثرة مشاغلك .. ولكننا الآن يوم الخميس .
 فلماذا لا نلتقي في عطلة نهاية الأسبوع ؟
 - ربما غابت المدينة خلالها .
 - لنتركها إذن للظروف ، ففي وسعك أن تعرف رقم تليفوني من
 الدليل ، حتى إذا وجدت أنك ستبقى في المدينة تفضلت بالاتصال بي
 لنتناول الغداء معا ، فما رأيك ؟
 ففكر " لوبين " لحظة ثم قال :
 - حسنا .. سوف اتصل بك .
 - وسوف أكون تحت تصرفك .
 - ولكن كيف عرفت رقم تليفوني ؟
 - لقد تفضلت مس " دكستر " فأخبرتني بعنوانك ، إذ إنني اتصلت
 بها أولا ، بطبيعة الحال ، لاعتذر لها .. وإنني يا مستر " لوبين "
 يسرني أن أستمع بلقائك مرة أخرى طاب يومك .
 - سوف تستمتع بذلك حقا .
 وأعاد المسامع إلى مكانه ، ثم استلقى في الفراش يفكر في أحداث
 الليلة الماضية ، وفي " كوكي " ، والدكتور " زلمان " و " أفالون دكستر " .
 وإذا راحت أفكاره إلى هذه الأخيرة ، ذكر الفترة السعيدة التي
 أمضاها معها في منزلها ليلة أمس ، قبل أن يعود إلى فندقه ..
 وعندئذ مد يده إلى التليفون ، فطلب من عامل الفندق أن يصله برقم
 ذكره له بعد أن بحث عنه في الدليل ولم تمض لحظة حتى سمع
 " أفالون " تجيبه بصوت لا يزال فيه أثر النعاس قائلا :
 - هاللو ؟ .. هذا أنت ؟
 - نعم .. لقد كنت أحلم بك الآن ، ولكنني استيقظت ..
 - لماذا لا تعود إلى النوم ثانية ؟
 - ليتني أستطيع .. ولكن أحد الزواحف قد أيقظني .
 - مثل " زلمان " ؟

- نعم .. هل اتصل بك ؟
- بلا شك .. وقد راح يعتذر في حرارة بالغة ، ودعاني إلى تناول
الغداء معه .

- لقد دعاني بالمثل ..
- لنذهب معا إذن .. فلن أقبل دعوته إلا على أساس هذا الشرط ..
- سوف أقالك بعد قليل .. ولكنني أرجو ألا تنسي ما قلته لك بالأمس
فلا تقبلي دعوة من أحد ، ولا تذهبي إلى مكان غريب ، ولا تصدقي
شيئا يقال لك فإنك بعد أن شوهدت معي ، وأصبحت موضع الشك
لصلتك بي ، صرت عرضة لأي شيء قد يحدث لك .. فكوني على حذر .
- سوف أكون ..

- وسأتصل بك فيما بعد ..
وبعد أن تناول الفطور في حجرته ، طلب إلى عامل التليفون أن
يصله برقم معين في واشنطنجتون ، وانتظر قليلا حتى تم الاتصال ،
فسمع صوتا أجش يقول :

- إنني " هاملتون " .. أرجو أن تكون قد وفقت في بحثك .
- إنها فكرتك .. وقد زرت الملهى أمس ، ورأيت اصدقاءك ..
- وبعد ؟

- التقيت بأجمل فتاة في العالم ..
- إنك تفعل ذلك كل أسبوع .. ولكن تليفون مكتب المخدرات لا شأن له
بذلك فاشرح لي حياتك الغرامية في خطاب خاص ..

- إن اسمها " أفالون دكستر " ، وهو موجود في الدليل .. وتعمل
مغنية .. وقد كانت حتى ساعات قلائل ، تعمل في ملهى " كوكي " .
- إلى أي جانب تنتمي ؟

- لقد قابلتها فقط ، ولكنهم راوها معي .. فهل لك أن تذكر ذلك إذا ما
حدث شيء لي أو لها ؟ . كما قابلت " زلرمان " بالمثل ، فكان لقاؤنا
عنيفا إلى حد ما ! ولكنه شخص متسامح لين الجانب إذ اعتذر لي عن
ضربي له . ودعاني للغداء .

- أرجو ألا تدعوه بالمثل فتكبدنا نفقات إضافية ..
- يمكنك أن تستنزلها من الأتعاب ! .. هذا كل شيء الآن وساطلبك
فيما بعد

ثم أعاد المسامع إلى مكانه .. واخذ يفكر ويمعن التفكير إذ كان عليه أن يربط بين ما سمعه وبين ما رآه في الليلة الماضية ، وأن يرسم لنفسه خطة العمل بعد ذلك .

استقر رايه على أن أول ما ينبغي الاهتمام به هو ذلك المقصف الخيري الذي أنشأته " كوكي " للبحارة .

ومضى إلى خزانة الثياب ، فتناول حقيبة ووضعها فوق الفراش ، ثم فتحها وأخرج منها حافظة أوراق جلدية عجيبة لما تحويه في باطنها من ضروب الخدع ووسائل التنكر - فقد كانت بها مجموعة من الوثائق لا ينقصها إلا الاسم .. فمن خطابات مطبوعة يمكن أن تكتب عليها رسائل من أية مؤسسة بين شركة البان نوزي كانساس سيتي والسفارة اليابانية في انقره .. إلى مجموعة من بطاقات الزيارة بشتى الأسماء ، وجوازات السفر التي تحمل العلامة المائية لاثنتي عشرة بولة ورخص قيادة السيارات والطائرات وبطاقات التموين ، وتذاكر الاعتماد ، وشهادات الميلاد ، وتذاكر تحقيق الشخصية ، وتصاريح المرور ، وتذاكر العضوية في الأندية والنقابات وشتى أنواع التصاريح التي تلبث أن شخصية حاملها من أحد رعاة الأغنام في بلغاريا إلى أحد تجار العاج في أواسط إفريقيا .. وفوق هذه وتلك مجموعة رائعة من صور " أرسين لوبين " المختلفة بصورته الطبيعية أو متنكرا بشتى مظاهر التنكر ، متقمصا أية شخصية تخطر بالبال .. ومع هؤلاء جميعا عدد وفير من الاختام والطوابع لتفي بأي غرض يمكن أن ينشده .

وجلس " لوبين " إلى مكتبه فراح يعمل في تمهل وتؤدة زهاء ساعة كاملة ، انتهى بعدها من إعداد جميع الوثائق الرسمية اللازمة له متنكرا في صورة ملاح يدعى " توم سيمونز " في البحرية التجارية البريطانية .. وما لبث أن راح يفركها بين يديه ، ويحك أطرافها بالمبرة ، وينثر عليها رماد السجائر ، ويبيلها بالمياه وبعض قطرات القهوة ، ثم وضعها على الأرض وأخذ يطؤها بقدميه عدة مرات ، حتى رثت وتهدلت وبدا عليها القدم وطول الاستعمال .

فلما فرغ من هذه المهمة أتم ارتداء ثيابه وغادر الفندق حيث استقل

الحافلة إلى ميدان (واشنطن) ، ومن هناك راح يسير في تلك الشوارع الضيقة ، حتى وجد الحانوت الذي يقصده ، وهو أحد متاجر الثياب المستعملة .. فزعم لصاحبه أنه سيمثل دورا معيناً في فرقة تمثيلية للهواة ، ويحتاج إلى ثوب كامل مستعمل لأحد البحارة .. وما لبث أن خرج يحمل لفافة بها ما يتم شخصية "توم سيمونز" العتيق . فلما عاد إلى الفندق ، وجد رسالتين تليفونيتين .. كانت إحداها من "أفالون دكستر" إذ سألت عنه ، وذكرت أنها ستصل به ثانية في الساعة السابعة ..

أما الثانية فكانت من "كاي ناتيللو" .. فقد سألت عنه ولكنها لم تذكر سبباً أو تعد بالاتصال به ثانية .

وابتسم "لوين" إذ رأى أعداءه يتحركون من كل ناحية مما ينم على أن تدخله قد أقض مضاجعهم .

ثم طلب رقم "أفالون دكستر" ، ولكنه لم يجدها في مسكنها وما لبث أن هبط إلى بهو الفندق ، وقضى ساعتين في الثرثرة مع بعض معارفه حتى بلغت الساعة السابعة والربع عندما اتصلت به "أفالون" ، فقالت:

- لقد نسيت يا عزيزي أن أخبرك بأنني كنت اليوم على موعد مع مربوبي لحفظ بعض الأغاني الجديدة ، ولقد غبت عن مسكني طول هذه المدة .

- لا بأس يا حبيبتي .. ولكن هل أراك الآن ؟

فترددت الفتاة قبل أن تقول :

- الواقع يا عزيزي أن مديراً أحد ملاهي (شيكاجو) قد أتى اليوم إلى (نيويورك) وهو رجل اعتاد أن يحضر لسماع غنائي عندما كنت أعمل هناك .. وقد دعاني إلى تناول العشاء معه ، فلم استطع الرقص ، خصوصاً وأنني أبحث عن عمل جديد .

- إنني أسف لذلك يا عزيزتي ، فقد كان بودي أن أراك .. ولكن هل

تعرفين هذا الرجل جيداً ؟

- أه ! .. نعم .. إنني أعرفه منذ زمن طويل ، وهو شخص وديع لا خوف منه وربما استطاع أن يحصل لي على عمل جديد .. ولكن لا

تقلق ، فلم انس نصيحتك لي بالحنز .. وبهذه المناسبة قد يسرك أن تعلم أن "كوكي" اتصلت بي اليوم .

- هل فعلت حقا ؟

- نعم .. وقد اعتذرت لي اعتذارا حارا ، والحتفت في الرجاء بأن أنهب لأراها .

- وما الذي عولت عليه ؟

- لست أدرى بعد .. فإنني أمقت هذا الملهى ، وأمقت "كوكي" نفسها .. ولكنها من جهة أخرى تعرف كل إنسان في المدينة وليس من الصواب مناصبتها العداء .. إلا أنني سانتظر حتى أرى ما يحدث .. ما الذي ستفعله الليلة ؟

- ساقضي الوقت بين الشراب ومطالعة الصحف !

- أرجو أن أستطيع الخلاص من صديقي هذا في وقت مبكر ، فإنني أريد أن أراك ..

- لماذا لا تتصلين بي عندما تفرغين منه ؟ سوف أكون في الفندق ، ولكن إذا لم تجدني فاتركي رقم تليفون المكان الذي تكونين فيه .
- سوف أفعل يا عزيزي .. إلى اللقاء !

وظل "لوبين" يجرع الكأس تلو الكأس ، وقد انصرفت أفكاره إلى الدكتور "زلمان" ، وهو يعجب أشد العجب لماذا يقدم رجل مثله على الاعتذار عن إقحام وجهه في طريق قبضة سريعة منقضة ؟ .. ولماذا يريد الدكتور "زلمان" أن يوطد معرفته بـ "لوبين" ، الذي لم يكتف بصرعه وإلباسه ثوب الهوان في الملهى وإنما سلبه فتاته ورافقها إلى مسكنها ؟ .. وكيف أدرك الدكتور "زلمان" أن "أفالون بكستر" تعرف رقم تليفون "أرسين لوبين" ؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة لا تدع مجالا للشك في أن الطبيب منغمس إلى ذقنه في تلك المغامرة التي يسعى "لوبين" إلى كشف أسرارها .. وما دام الأمر كذلك فينبغي أن يلقي "زلمان" نصيبه من الفحص والتحصيل وكشف الستار عنه .

وعندئذ غادر "لوبين" الفندق ، واستقل سيارة إلى عيادة الدكتور "زلمان" ليقدّم على إحدى مغامراته التي ياتيها عفو الخاطر دون

تدبير او ترتيب ، وهو لا يدري إلى أين تقوده .

وكانت عيادة الطبيب في الطابق الثامن عشر ، ولكن "لويين" طلب من عامل المصعد ان يمضي به إلى الطابق الثاني عشر بعد ان وقع في بئر الزوار الليليين باسم "جون سميث" .

وما كاد المصعد يهبط ثانية حتى راح يرقى الطوابق الستة العليا في خفة وسكون إلى أن بلغ عيادة الدكتور "زلمان" ولم يستغرق منه فتح قفل الباب الخارجي سوى القليل من العناء والوقت . وما لبث ان وجد نفسه في حجرة انتظار فسيحة انيقة الأثاث ، ظليت جدرانها بلون اخضر مريح للبصر وللأعصاب وحليت برسوم هائلة توحى للمرء بأنه في بيته ..

وراح "لويين" يفتش الحجرة على ذلك الخيط من الضوء المنبعث من مصباحه الكهربائي فلم يجد فيها ما يستحق الذكر ولم يكن مكتب الممرضة التي تستقبل الزوار يحوي سوى بعض الأوراق والأقلام ، وإصبع لطلاء الشفاء ، ونصف علبة من السجائر ، ونسخة من مجلة "قصص الغرام" .. كما كانت فوق المكتب مفكرة للمواعيد كتبت عليها ثلاثة أسماء .

ومضى إلى حجرة العيادة ، فالهاها متواضعة الأثاث ، خلت جدرانها من الرسوم والنقوش ، ولا تحوي إلا مكتب الطبيب وأريكة للكشف ، ومنضدة صغيرة.

ولكن أين الملفات وبطاقات المرضى ؟ .. لا ريب انه توجد بعض السجلات الخاصة بالعمل المعتاد للعيادة ، وهي أشياء لا تدعو الضرورة إلى إخفائها فإن السكرتيرة قد تحتاج إلى بطاقة احد المرضى ، او تدوين بعض الحسابات .

وعاد "لويين" ثانية وهو يسري كالشبح إلى حجرة الاستقبال حيث راح يديق الفحص في الركن الذي تجلس فيه السكرتيرة وما لبث ان استقر ضوء مصباحه الرفيع على مقبض معدني صغير في الجدار وفي اللحظة التالية كانت أصابعه تعبت به ، فجذبه نحوه ثم رفعه ، وإذا بجانب من الجدار يرتفع إلى أعلى ، كاشفا عن فجوة كبيرة بداخلها برج للملفات ، وخزانة صغيرة وآلة كاتبة.

وفيما كان يمد يده إلى درج الملفات ليرى ما بداخله ،

انبعث رنين التليفون بغثة في ذلك السكون الشامل فامتدت يد
لوبيين نحوه دون وعي ولكنه ما لبث أن تمهل قبل أن يرفع السماع ،
ليفكر في الأمر .. ولعل الأغلب أن يكون أحد الناس قد طلب رقما خاطئا
إذ لا يعقل أن يتصل أحد بالطبيب في هذه الساعة المتأخرة .. ولكن
إذا لم يكن ثمة خطأ ، وكان الطبيب مطلوبا عن قصد ، فما من ضرر في
أن يجيب "لوبيين" النداء .. فلن يعرف أحد من الذي أجاب ..
وأخيرا قال في صوت تعمد تغييره :

- هالو !

وعندئذ سمع صوتا رقيقا خيل إليه أنه قد سمعه من قبل ، يقول في
لهفة

- "ارنست" .. يسرني أنك عدت مبكرا ، وسوف أحضر إليك توا فقد
تطورت الأمور تطورا سيئا فيما يختص بـ "البرت فولي" ..
ولم ينتظر المتكلم ردا وإنما وضع السماع في صوت حاد كان له
بعض الأثر في إنعاش ذاكرة "لوبيين" ، فأسرع يحول مصباحه
الكهربائي نحو مفكرة المواعيد ليتحقق من صدق حدسه .. وقد أصاب
إذ كان اسم "البرت فولي" أحد الأسماء الثلاثة المدونة بها ، بين اسمي
مسز "جيرالد ملدون" ، و"جيمس براتر" .

وتردد "لوبيين" بين أن يختفي في العيادة ويبقى بها متلصصا في
انتظار الدكتور "زلرمان" ومحدثه ذي الصوت الغامض المألوف وبين أن
يبحث عن "البرت فولي" هذا ليعرف منه ما يمكنه معرفته .. وقد
رجحت كفة الفكرة الأخيرة لاسيما أن العيادة لم يكن بها مكان يصلح
للاختباء ، ولو أن "لوبيين" قد حزن لحرمانه من معرفة ما سيحدث
عندما يدرك المجتمععان أن الدكتور "زلرمان" لم يكن هو الذي أجاب نداء
التليفون ..

واعاد الجزء المتحرك من الجدار إلى مكانه ، ثم غادر العيادة وراح
يهبط الدرج في حذر حتى الطابق الثاني عشر حيث استقل المصعد إلى
أسفل العمارة إلى الخارج ..

وما لبث أن نخل إحدى الصيدليات وأبتاع بعض الأدوية ثم بحث

في دليل التليفون عن عنوان " البرت فولى " حتى وجده .. ثم استقل سيارة ذكر لسائقها العنوان المنشود في " بروكن " فلم تمض برهة حتى كانت تسرع به إليه .

وفي خلال الطريق راح " لوبين " يفكر في صاحب الصوت الغامض الذي سمعه في التليفون .. وكان من الواضح أن ذلك المتكلم كان يتحدث في لهفة وانفعال ، كما كان يبدو في عجلة من أمره كان شرا مستطيرا قد وقع له .. وعلى الرغم مما بذله " لوبين " من الجهد في سبيل تذكر صاحب ذلك الصوت ، فإنه ما لبث أن كف عن المحاولة إذ لم يستطع الوصول إلى نتيجة مثمرة .

وأخيرا بلغ المكان الذي يقصده ، فوجده منزلا محترما من العمارات المعدة للسكنى ، فراح يبحث عن اسم " فولى " في صفحة الأسماء الموضوعة داخل الباب ووجده يقطن الطابق الثامن فمضى يرقى الدرج في صمت وحذر .

وإذ بلغ مسكن " البرت فولى " ، لمح شعاعا من الضوء يتسرب من أسفل الباب مما يدل على أن الرجل لم يكن نائما .. ولم يكن قد أعد خطته لما سوف يقوله ، تاركا ذلك لوحى الساعة ، كعادته .. ومن ثم قرع الجرس ووقف منتظرا ولم يسمع أية حركة تذب على أن شخصا ما يهم بفتح الباب لذلك الطارق الليلي بل لم يسمع شيئا البتة .. فطرق الباب ثانية .. ولكنه إذا لم يسمع شيئا بعد ذلك حاول فتح الباب فإذا به يستجيب له سريعا ليجد نفسه في ردهة صغيرة ذات اثاث متواضع ..

وهتف " لوبين " في صوت رقيق " فولى " .. " فولى " .. ولكن احدا لم يلب النداء ، فدخل " لوبين " وأغلق الباب خلفه وراح يجيل نظراته حوالیه فرأى في نهاية الردهة بابا يؤدي إلى المطهى وآخر لا ريب أنه باب حجرة النوم .

ولم يجد احدا في المطهى ، فقرع باب حجرة النوم ، ثم فتحها فالفأها تسبح في ظلام دامس فمضى يبحث عن مفتاح النور حتى وجده .

وما إن سطعت الأنوار في الحجرة حتى وجد بها رجلا .. ولكنه كان

جثة هامدة ، وقد انبطح على وجهه فوق الأرض والدماء الغزيرة التي تدفقت من ظهره تصيغ البساط الأخضر حوله ..

وراح "لويين" يفحص القتل ، دون أن يحرك الجثة بأكثر مما ينبغي .. فوجده شابا في مقتبل العمر ، لا يعدو الثلاثين يرتدي ثيابا نظيفة تحمل أوراقه الشخصية التي في جيبه اسم "ألبرت برادفورد فولي" عضو اتحاد البحارة .

ولم يكن بجيوب القتل أي شيء يمكن أن ينم عن العلاقة بينه وبين الدكتور "أرنست زلرمان" .. كذلك لم يجد "لويين" في المسكن ، بعد أن فُتشته بيد خبير مدرب ، أي دليل على وجود تلك الصلة .

فلما فرغ من بحثه ، غادر المسكن بعد أن أعاد كل شيء إلى مكانه .. ومضى إلى مقصورة التليفون في أحد الحوانيت القريبة حيث طلب الاتصال بمركز البوليس في "بروكلن" .. وأخبر الشرطي المنوب ، بعد أن ذكر له عنوان المسكن أنه "سوف يجد شخصا يدعى "ألبرت فولي" ميتا .. وسوف يعرفه من المدينة الحادة التي يضعها في ظهره .

- ٤ -

وفي منتصف الساعة الحادية عشرة من الصباح التالي ، اتصلت به "أفالون دكستر" تليفونيا قائلة إنها لم تستطع الانتظار أكثر من ذلك حتى تطمئن عليه ، وسألته متى يريد أن يقابلها فقال :

- في أقرب فرصة ممكنة يا عزيزتي .. هل قضيت وقتا طيبا ليلة أمس ؟

- بالعكس .. قضيت وقتا تعسا .. فقد عرض علي ذلك الاحمق عملا في "كليفلاند" ولكنني رفضته .. لأنك لا تقيم في تلك المدينة !

- شكرا يا حبيبتي .. وما قولك الآن في أن نخرج معا للزور بعض الناس ، ثم نمضي بقية اليوم معا ؟

- فكرة رائعة حقا ! .. متى أراك ؟

- بعد نصف الساعة ..

وما كان ارتداء ثياب الخروج يستغرق منه كل هذا الوقت ، ولكنه كان في حاجة إلى محادثة تليفونية مع (واشنطن) .

وسأله "هاملتون" عندما اتصل به :

- هل من جديد يا بني ؟ .. اترك زوجت بنفسك في ورطة جديدة ؟
- كلا .. ولكني اود ان تخبرني بكل ما يمكن معرفته عن شخص يدعى "البرت برانفورد فولبي" .. لقد كان باستطاعتي ان اتحرى عنه بنفسي لولا انك يمكنك القيام بذلك اسرع مني ، كما ان لدي اعمالا اخرى .

- اي نوع من الاعمال يا ترى ؟

- ساقرا الصحف واصحب فتاتي إلى بعض الزيارات .

- اهي الفتاة نفسها ؟

- بلى هي بلا ريب ..

- وما الذي عرفته عن القضية ؟

- لم اعرف شيئا معينا بعد .. ولكن من يدري ما ياتي به الغد ؟

فلما فرغ من حديثه تناول إحدى الصحف وراح يقرأها في الطريق بعد مغادرته الفندق ، فوجدتها قد نشرت نبا الجريمة في سطور قليلة فنكرت ان "البرت برانفورد" ، سكرتير اتحاد البحارة عثر عليه بواسطة رجال البوليس مقتولا في مسكنه في "بروكلن" ذلك الصباح ، على اثر بلاغ غامض من شخص مجهول ادلى به إلى الشرطي المنوب تليفونيا .. وقد اسرع المفتشان "رايت" و "ماكتشون" إلى مسكنه فوجدا الجثة مسجاة في حجرة النوم ، وقد غيببت في ظهرها مدية كبيرة مما يستعمله القصابون .. وذكر كبير المفتشين "فوناك" ان من المتوقع القبض على القاتل في اية لحظة .

وفيما كان "لوپين" في السيارة التي اقلته إلى مسكن "افالون" بكستر" راح يفكر فيما يعنيه كبير المفتشين بانه يوشك ان يقبض على القاتل .. فما من ريب في ان البوليس لا يعرف عن الجريمة اكثر مما يعرفه هو .. وإلا فهل يعلم البوليس بالعلاقة بين القاتل وبين الدكتور "زلمان" ؟ .. وإذا كان الامر كذلك فكيف يتوقعون القبض على القاتل؟ .. لا .. إن الامر لا يعدو ان يكون مجرد مغالاة من محرر الجريدة ، ليسيع على الخبر شيئا من الاهمية .

وقابلته "افالون" في ثوب منزلي أنيق ، وقادته إلى حجرة الاستقبال ثم احضرت له زجاجة من الشراب ، ريثما ترتدي ثياب

الخروج .. فراح يفكر في مسز ' جيرالد ملدون ' التي اعتزم زيارتها ، وهي صاحبة احد الاسماء الثلاثة المدونة في مفكرة عيادة الدكتور زلرمان .. وكان اسم زوجها ' جيرالد ملدون ' من الاسماء اللامعة وسط رجال الاعمال ولو ان الصفقات التي كان يبرمها في الاسهم والسندات كانت صفقات مريبة إلى حد ما ، خصوصا أنه كان يستخدم أسماء مستعارة في بعض العمليات .

أما مسز ' ملدون ' فلم يكن ' لوبين ' يعرف عنها شيئا ، ولكنه اشرك ان ثمة اسبابا معينة هي التي تدفعها إلى استشارة طبيب نفساني كالكتور ' زلرمان ' وهذه الأسباب هي التي يعتزم اكتشافها .

وكان من السهل أن يجد عنوانها في الدليل .. وكذلك لم تمض ساعة حتى كان يقرع باب ' جيرالد ملدون ' ، ثم يمضي والفتاة إلى حجرة استقبال نفيسة الرياش ، حيث وافتهما إليها مسز ' ملدون ' .

وكانت السيدة على جانب عظيم من الملاحظة والفطنة من ذلك الجمال الهادئ الرزين ، طويلة القوام ، فاحمة الشعر ترتدي ثيابا متواضعة أنيقة وتسير في خطوات وثيدة رشيقة .

وكانت نبرات صوتها الموسيقي ممزوجة بالدهشة عندما قالت :

- هل طلبتم مقابليتي ؟

فقدم ' لوبين ' إليها نفسه قائلا :

- إنني ' ارشي وليامز ' ، المخبر في مجلة (تايم) .. وهذه زوجتي ..

فغمغمت مسز ' ملدون ' وقد ازدادت دهشتها .

- يسرني ان أراكما .. هل لكما في شيء من الشراب ؟

فلما أوما شاكرين ، أمرت مسز ' ملدون ' الخادم أن يأتي بمنضدة الشراب المتنقلة ، ثم التفتت إلى ' لوبين ' ، متسائلة .

- مجلة 'تايم' ؟ .. وماذا تريد مني ؟ .. ولكن لا بأس ! لننتظر حتى

تتناولا شيئا ثم نتحدث ..

فلما قدم الخادم كؤوس الشراب إلى ثلاثتهم ، قالت مسز ' ملدون ' :

- حسنا يا سيدي المحرر ماذا وراءك ؟

- لقد كلفت بجمع المعلومات اللازمة عن الدكتور ' زلرمان ' حيث إننا نعتزم كتابة مقال عن مشاهير الأطباء .

فحملت مسز " ملدون " إليه وقالت :

- يا إلهي ! .. وما شأني بذلك ؟

- إتني أريد أن اطرح عليك بضعة أسئلة ، تساعدني على وصف شخصية الطبيب وصفا صحيحا . فإن مهمتي هي معرفة آراء المرضى في أطبائهم .

- ولماذا اخترتني بالذات ؟

- الست من زبائن الدكتور " زلرمان " ؟

- اوه ! .. نعم ..

- ولحظ " لوبين " ترددها ، ولكنه لم يعلق على ذلك وقال :

- وكيف تريه ؟

- إنه شديد التفاخر والخيلاء ..

- هكذا ؟ .. احسب أن شعورا كهذا قد يفسد الصلة بين الطبيب ومرضاه ؟

- إنه رجل مغرور .

- حقا ؟ .. لقد ظننت أن له شهرة ذائعة ؟

- وما هذه الشهرة ؟ .. إنها ما يذيعه عنه ذوو الرؤوس الفارغة الذين تؤثر فيهم طلعة المهيبة ولسات أصابعه الرقيقة وكذا ما يقوله أولئك المحدثون الذين يتباهون بقولهم : " لقد دفعت خمسمائة دولار في زيارة واحدة له .

- أراك متحاملة عليه .

- كلا .. ولكن ما الذي تريد معرفته عنه ؟ .. عندما كان في (فيينا)

في الثالثة عشرة من عمره ضربه أحد القصابين على يديه إذ حاول سرقة بعض (السجق) . وكانت نتيجة ذلك أنه يصير على أن ترتدي سكرتيرته ثوبا أزرق اللون .. فهو لا يطيق رؤية ثوب أبيض حواليه .. وهو لا يعرف السبب بالتأكيد وليست لديه أقل فكرة عن أن القصاب الذي ضربه كان يرتدي معطفا أبيض اللون وأن كرهه لهذا اللون ناشئ عن عقدة نفسية في أعماقه هو .

- يبدو أنه لا يصلح موضوعا لمجلتنا .

- اه ! .. امض في سبيلك ولا تبال .. هل لك في كأس أخرى ؟

- هلا أخبرتني يا مسز "ملدون" ، كيف تتوقعين الحصول على علاج نفسي من رجل تتحدثين عنه بهذا الازراء ..

فاعتدلت مسز "ملدون" في جلستها ، وهتفت :

- ازراء ؟ .. لا شيء من ذلك يا سيدي .. فهو رجل بارع في عمله ، قادر على ان يجعلك تتحدث عن نفسك بأشياء ما كنت تحب ان تتحدث عنها .. وربما كان ذلك مفيداً ، فلست ادري .. نعم .. يجب ان يكون كذلك .. فقد افادني في فهم نفسي ، ولو انني لم أكن احب ان افهمها .. ولكن "جيرالد" أصر على ذلك .. - هل أفهم من ذلك ان صلتك بالدكتور زلرمان قد راق لك ؟

فتطلعت إليه في ثبات ، وقالت :

- راق لي ؟ .. ما الذي تعنيه بهذا القول تماما ؟ إنك أحياناً تقع فريسة عاطفتك إذا اثرت دفعة واحدة .. والعاطفة قوة دافعة لا يمكن تجاهلها .. فإذا وقعت فريسة لها ، فإن كل ما تفعله وقتئذ يروق لك .. حتى لو رحت تلعن نفسك بعد ذلك ، أو إذا لم تجد الجراحة للتحدث عنه.

- اتعنين انه ليس قويم الخلق ؟

- وما هو الخلق القويم ؟ .. وكيف يتفق ذلك مع كونك من البشر ؟ .. إن مجرد كونك من البشر يجعلك تخضع لحوافز معينة . هكذا قال العالمان "فرويد" و"كرافت إبنج"

- وهل يخضع الدكتور "زلرمان" لحوافز معينة ؟

- لا ريب أنه يفعل .. حتى ولو قيل عنه إنه طبيب ساحر للنفس والعقل . فإن ذلك لا يغير أخلاقه قط .. وجميع العوامل والأشياء التي خلقت منه ما هو عليه الآن لا يمكن ان تتغير أو تتبدل .

فجرع "لويين" كاسه ، ووضع القدر الفارغ أمامه ، ثم قال :

- لقد أضعنا الكثير من وقتك يا مسز "ملدون" ، فشكرا لهذه المعونة الثمينة.

فنهضت السيدة وهي تبتسم ابتسامة رقيقة وقالت :

- لا تظنني متحاملة على الرجل .. فإن الذين يعتقدون أنه ملاك طاهر أكثر ممن يخالفونهم هذا الرأي .. ثم إنه في بعض الأحيان يكون

كذلك حقا .

ولم يسألها "لوبيين" عن هذه الأحيان ، وإنما انصرف وأقالون حيث استقلا سيارة ذكر لسائقها عنوان "جيمس براثر" صاحب الاسم الثالث الذي رآه في مفكرة زيارات الطبيب ، ثم راح يفكر فيما سمعه من مسز "ملدون" .

وأخيرا غمغم :

- لا ريب أن الرجل يمارس ابتزاز المال بالتهديد .. وليس يعني رايها في "زلمان" ، ولكنها ما كانت لتتحدث عنه بهذه المראה لولا أنه يستنزف منها بطريقة ما .. وعلينا أن نكتشف كيف يفعل ذلك .

- لست أحسب أنني يمكنني مساعدتك في هذا الأمر .. ولكنني اعتقد أن السيدة قد تورطت في علاقات أئمة مع الطبيب أو مع غيره ..
- لعلك على صواب .

واستمر يتحدثان في هذا الأمر حتى بلغا منزل "براثر" ، فوجداه يقطن مسكناً أنيقاً في حي راق . وقد استقبلهما الرجل في غير حفاوة ، وطلب إليهما أن يجلسا ، ولكنه لم يعرض عليهما شراباً ، وإنما راح يذرع الحجرة مقطب الحاجبين عابساً . وكان في نحو الثلاثين من العمر ، ذو عينين زرقاوين واسعتين قد برزت حدقتاهما بما يذكر بهيئة السرطان البحري .

وأخيرا قال في جفاء :

- ماذا هنالك ؟ ..

فقدم له "لوبيين" نفسه كمندوب لمجلة (تايم) ، وذكر له موضوع البحث الذي يقوم به ، فقال :

- أجل .. أجل .. ما الذي تريد أن تعرفه عن الدكتور "زلمان" ؟ .. أي نوع هو من الرجال ، أم أي نوع من الأطباء ؟
- كلاهما ..

- أه ! حسناً .

وعندئذ دوى جرس التليفون ، فاعتذر "براثر" لزمائريه ، ولبنى النداء ، وهو يصغي في إمعان واهتمام .. ثم القى نظرة على "لوبيين" ، وهو يقول لمحدثه :

- نعم .. لقد فهمت .. إلى اللقاء ..

ثم تحول إلى "لوبيين" قائلا :

- هل لك أن تتفضل بالخروج من هنا ؟

وكان "لوبيين" في بادئ الأمر يتأمل مستر "برائر" في ازدياء ، ثم في تلذذ ، كما يرقب المرء شخصا في ورطة مضحكة ، ومن ثم لم يبال بقوله ، وقاد "أفالون" إلى أريكة مريحة ، ثم جلس إلى جانبها ، وأخرج من جيبه قلما مذهبا ومفكرة أنيقة ، وقد لاحظت في عينيه تلك النظرة الساخرة وهو يقول :

- ما الذي كنت تريد قوله عن الدكتور "زلمان" ؟ ..

فراحت أصابع "جيمس برائر" تعبت بطرف ثوبه في عصبية شديدة وهو يهتف :

- أرجوك .. ينبغي أن تنصرف للتو ، فليس لدي وقت أقضيه معك الآن .. تعال غدا .. أو في الأسبوع التالي .. إنني على موعد بالغ الأهمية ، لم يكن منتظرا .. وإنني أسف لذلك .. ولكن ..

ثم مضى إلى الباب وفتحته على مصراعيه ..

ففكر "لوبيين" مليا ، ثم نهض وعاون "أفالون" على النهوض بالمثل .. فلما بلغا الباب قال لمستر "برائر" :

- سوف أعود فيما بعد ..

فاوما الرجل برأسه في حنق ولبث واقفا حتى سار الزائران بضع خطوات فصفق الباب في عنف ! فلما دخلت "أفالون" المصعد ، قال لها في همس :

- انتظريني في دهنيز العمارة يا عزيزتي ..

ولما هبط بها المصعد مضى "لوبيين" إلى أحد الأركان فاختبأ به بحيث كان يستطيع أن يرى باب المصعد وباب مسكن "برائر" معا .. إذ كان على يقين من أن انتظاره لن يطول قبل أن يحدث شيء معين .. أما كنه هذا الشيء فلم يكن في وسعه أن يحدسه ..

وراح يفكر في الآثار الزائفة التي اقتفاها قبل أن تقوده غريزته وأبحاثه إلى قبو "كوكي" .. ترى هل تكون هذه إحداها ؟ .. وهل يسفر انتظاره عن أن الموعد الذي أثار انفعال "برائر" ولهفته لا صلة له بالبتة

بقضية تهريب المخدرات هذه ؟

وسمع أزيز المصعد ، وما لبث أن رآه يقف ، ويخرج منه شابان يدل مظهرهما على أنهما قد عادا للتو من البحر .. ومع أنهما كانا يرتديان ثيابا مدنية ، إلا أن البحر كان يبدو واضحا في بشريتهما اللتين لوحهما هواؤه ، وفي أيديهما الخشنة ، وفي مشيتهما المتارجحة .

ومضى الشابان قدما إلى باب " جيمس براثر " فقرعا الجرس وما لبث الباب أن فتح على الفور حيث دخلا وأغلق الباب خلفهما .. وعندئذ خرج "لوبين" من مكنه وراح ينصت أمام الباب ولكنه لم يسمع شيئا ، إذ كان الباب .. سميكا محكم الغلق .. فهز رأسه في أسف ، ومضى نحو المصعد واستقله إلى الطابق الأسفل حيث وجد "أفالون" جالسة في انتظاره بالدلهيز فقال لها :

- لقد طرات لي فكرة لا بأس بها .. ولكنني لا أريد أن يراني احد معك الآن قبل أن نستعد .. ولعل هذين البحارين يتأخران بضع دقائق ريثما أخبرك بها ..

وخرجا من باب العمارة فدعا إحدى سيارات الأجرة ، وأعانها على الصعود إليها ثم قال :

- سوف يخرج الآن شابان من البحارة لعلك رايتهما عند حضورهما ، احدهما في ثوب رمادي والآخر في ثوب أزرق . ألم يلاحظا وجودك ؟

- لقد كادت نظراتهما تخترقني ، ولكنهما لم يكلماني .
- أعزبيهما يا عزيزتي ، فقد كانا مشغولي الفكر بامور مهمة .. ولكنهما سيفرغان منها عند خروجهما ، ويغدوان على استعداد للقيام بجولة في المدينة للمرح واللهو .. وسوف ينكرانك عند انصرافهما ويسرهما أن تصحبيهما لقضاء بعض الوقت في إنفاق الثروة التي اكتسبها أخيراً ..

فنظرت إليه "أفالون" في دهشة وقالت :

- لست أدري عن أي شيء تتحدث ؟

ولكن كوبين لم يكن بالذي يفصح عن أغراضه ، حتى ولو كان ذلك لفئة جميلة مثل "أفالون دكستر" .. فهو لا يدري حتى الآن حقيقة

موقفها منه .. وإذا كانت من افراد العصابة وتؤدي دورا بارعا
لخداعه، وهي فكرة يحس بان كل جارحة في جسمه تعارضها وتثور
في وجهها ، فإنها قد تعرف إن كان يسير وراء اثر صحيح أم خاطئ ..
وسوف تؤدي معرفتها هذه إلى تحذير الشابين اللذين في مسكن
جيمس براتر الآن .. ولذلك ابتسم في دعة ، وقال :

- إنني نفسي لست انري عن أي شيء أتحدث يا صغيرتي ولكن إذا
صح حدسي فإن هذين الفتين سوف يخرجان من هنا ولديهما رغبة
واحدة ، هي البحث عن أسرع وسيلة للهو والمرح .

وكان "لوبين" قد رسم خطته في لمحة خاطفة ، إذ كان يريد أن يتحدث
إلى هذين الشابين دون أن يعرفا أنه قد تعتمد ذلك .. فاستطرد قائلا :

- هل لك أن تسدي إلي صنيعا صغيراً يا عزيزتي ؟

- بلا ريب .. إنني أفعل المستحيل من أجلك .

- إنني أريد أن تعودني ثانية إلى ذلك المنزل وتنتظري في ديليزه ..
فصمتت "أفالون" لحظة وجيزة ثم قالت :

- لقد فهمت غرضك .. ولكن ما هي الصفة التي اقدمك بها إليهما ؟
- مدير أعمالك ..

- أجل .. إذن فانت تريد أن اجعلهما يريانني عند خروجهما
ويتعرفان بي وفي اللحظة التي نخرج فيها إلى الطريق تظهر انت
قادما بهذه السيارة فاقول لهما إنني لا أستطيع الذهاب معهما .
ولكنك تسمح لي بذلك على شرط أن ترافقنا ، وعندئذ نستقل السيارة
جميعا .. اليس كذلك؟

فقبلها "لوبين" في إعجاب ، وأوما موافقا ، وعندئذ غابرت السيارة
إلى المنزل يتبعها بنظراته برهة وقد ادتهشه نكاؤها الخارق إذ
استطاعت أن تحبس خطته باق تفاصيلها دون أن يذكر لها سوى
فكرة عامة عنها .

واستقل السيارة بدوره وطلب إلى السائق أن يقف بها في طريق
جانبي ويتأهب لأول إشارة منه .

ولم تفض دقائق معدودات حتى رأى "لوبين" "أفالون" بكستر تبدو من
باب المنزل ومعها الفتیان .. وفي اللحظة التالية ، كان يقف بالسيارة

امامهم ، ويفتح بابها قائلا :

- معذرة يا عزيزتي .. لقد تاخرت كثيرا خشيت الا اجبك .

- نعم ، لقد حضرت اخيرا ، وكنت اوشك ان انصرف .. حسنا ! اما

وقد حضرت .. على فكرة اقدم لك "جوهيمان" ، و"سام جفريز" .

فصافحهما "لويين" قائلا في مرح :

- اسمي "سيمون سمبلون" .. إلى أين تريدون الذهاب ؟

فقالت "افالون" في ارتباك :

- إنني لست واثقة من انك مدعو إلى هذه النزهة يا "سيمون" .. لقد

كنت مع هذين السيدين نعتزم القيام بجولة في المدينة ..

- ولكني مدير أعمالك يا عزيزتي ، ولا يمكنك ان تعملي اي شيء

دون موافقتي .

فرفعت الفتاة حاجبها وقالت :

- أي شيء ؟ ..

- حسنا !

وارتبك الفتيان بالمثل ، ولكن "افالون" طرقت الأرض بقدمها في حلق

وقالت :

- إنك تعرف ما أعنيه ..

فقال "لويين" في صراحة :

- إنني مدير أعمالك يا مس "نكستر" بحكم القانون .. ومن حقي ان

أقدم لك مشورتي فيما يختص بانتقالك هنا او هناك ، وعليك ان تعملي

بهذه المشورة .

فقوست شفتيها في ازدياء ، وغمغت :

- هل كونك مدير أعمالك يكسبك حق التدخل في شؤوني

الشخصية؟ ..

- أخشى أن يكون الأمر كذلك رغم ما فيه من هوان ..

وكان الفتيان يتلملان في وقفتهما وينقلان قدما بعد الأخرى .. في

حين كان "لويين" يود ان ينقض على "افالون" ويقبلها إذ كانت تؤدي

بورها في براعة عجيبة وهي ترمقه بنظرات السخط والحلق ..

وأخيرا قال "سام جفريز" :

- لقد كنا نؤشك أن نقوم بجولة سريعة في المدينة ..

ففكر "لويين" قليلا ثم قال :

- إنها فكرة طيبة .. لماذا لا نقوم بها جميعا ؟ ..

ونظر كل من الفتيين إلى "أفالون" ، فما كانا يرغبان في أن يصحبهما رقيب ونظرت إليهما بدورها ، ثم إلى "لويين" ، ثم هزت كتفيها في غير اكتراث ..

وعندئذ قال "جوهيمان" :

- ولم لا ؟ ..

وهكذا استقلوا جميعا تلك السيارة .. وفيما كان "لويين" يتبعهم إلى داخلها رفع نظره إلى أعلى ، فرأى وجه "جيمس براتر" مطلا من إحدى النوافذ ..

تعهد "لويين" أن يكون مجلسه في أحد المقعدين الأماميين الصغيرين، وظهره إلى السائق ، حتى تتاح له فرصة النظر من النافذة الخلفية فيعلم إن كان هناك من يقتفي أثرهم ..

ولكنه ما كان يجلس حتى لاحظ أن "سام جفريز" قد أخرج مسدسا من جيبه صوبه نحوه ، وراح يحده بنظراته فترة طويلة قبل أن يقول :

- يا لك من رجل عنيد ! .. بل لقد سمعنا أنك أكثر من ذلك .. ولكن اتحسبني لم أعرفك ؟ .. لقد نشرت لك الصحف صورا كثيرة .. فانت "أرسين لويين" !

فابتسم "لويين" ابتسامة رقيقة ، وقال :

- هل الأمر كذلك ؟ .. وما دمت تتكلم بهذه الصراحة فلماذا إذن تهددني بهذا المسدس ؟ ..

فشهقت "أفالون" ، وكانت لم تر المسدس بعد .. بينما قال "سام جفريز"

- حسنا .. أحسب أنه ليس ضروريا .. فإنني لن أطلق النار عليك إلا إذا حاولت خداعنا بأكثر مما فعلت الآن ..

- ولكنني في الواقع مدير أعمال هذه السيدة ، فهي مغنية في النوادي الليلية ..

- إنني لا اعترض على هذا القول بشيء الآن .. وسوف نرى ..

وبدا كوين يتحسس جيبه الداخلي وهو يقول :

- هل لي أن ادخن ؟

- بلا ريب ..

فاخرج كوين علبة سجائره ، واشعل لفافة منها ، ثم أعادها إلى جيبه ، وهو ينتهز الفرصة ليتحسس المنيه التي يربطها إلى ذراعه حتى يستوثق من وجودها .

واستطرد "سام جفريز" :

- حسنا .. إنني لم أعرفك في بادئ الأمر ، ولكنني تبينتك حقيقتك بعد أن ركبنا السيارة معك ، فساطت في نفسي ماذا يريد كوين من شخصين مثلنا ؟ فلما لم أستطع معرفة ما تسعى إليه ، قلت إن خير وسيلة هي أن اتحفظ للدفاع عن نفسي فأخرجت مسدسي .

فتنهّد كوين في ارتياح ، إذ تبين أن "سام جفريز" قد فوجئ بظهوره أمامه ولو أن "الفالون" كانت ضمن العصابة لحذرتهما منه قبل خروجها معهما .. ولكنها لم تفعل .. ولكن من يدرى ؟ .. ربما حذرتهما "الفالون" منه ، ولكنها ببراءتها رسمت لهما هذه الخطة حتى لا يرتاب كوين في أمرها . وهكذا كان كوين في حيرة من حقيقة أمر الفتاة .. ويرى أهمية قصوى في الوصول إلى رأي حاسم عن نواياها وأغراضها .. خصوصا وأنه يرى نفسه يسير في الأثر الصحيح نحو الهدف الذي يرمي إليه ، ما دام الأمر ذا صلة برجال البحر ..

ففي وسعه أن يتصور تلك البواخر التي ترحل من (نيويورك) ، لتخترق قناتي بنما أو (السويس) في طريقها شرقا أو غربا ، ووجهتها دائما إلى بلاد الشرق الأقصى .. منها ناقلات البضائع الصغيرة ، ومنها باواخر الركاب الكبيرة الذاهبة إلى (كلكتا) أو (سنغافورة) أو (شنغهاي) .. وفي هذه أو تلك يرى أحد البحارة يهبط في أحد تلك الموانئ ، ويذهب إلى عنوان معين فيقول : لقد أرسلني جورج .. فتكون هذه العبارة السحرية أشبه بعبارة (افتح يا سمسم) ، تفتح له الأبواب المغلقة ، وتضع أمامه طعاما دسما وشرابا سائغا .. وفي نهاية زيارته يعطى لفافة كبيرة أو صغيرة ليعود بها إلى نيويورك ويسلمها إلى (جورج) .

و(جورج) ، في قصتنا هذه ، هو "جيمس براتر" .

ولكن لحساب من يعمل هؤلاء البحارة الاغرار حقا ؟ ..

إن "جيمس براتر" لا يمكن أن يكون إلا وسيطا بينهم وبين .. بين من
يا ترى؟ هذه هي المسألة التي تتطلب الحل الذي ينشده "لوين"
وينشده معه مستر "هاملتون" مدير مكتب المخدرات في (واشنطن) .
وأخيرا قال لـ "سام جفريز" :

- هل تريد أن أريك تذكرة عضويتي في اتحاد الوكلاء ؟

- لتثبت لي أنك وكيل أعمالها ؟ .. كلا .. لا داعي لذلك الآن .. وربما
كنت قد تسرعت قليلا .. فما قولك في أن ننسى ما حدث ؟

- أحب أن نتصافح باليد اليسرى ، أم تفضل أن تعيد هذه الآلة
الجهنمية إلى جيبك ؟

فضحك "سام جفريز" ، ووضع المسدس في جيبه ، ثم صافح "لوين"
بيد خشنة صلبة ، جعل يهزها في عنف وقوة ، فقالت "افالون" وهي
تبتسم :

- ولكنكم لم تقولوا للسائق حتى الآن أين يذهب بنا ..

- إنك ضيفة الشرف الليلة يا مس "دكستر" فلماذا لا تذكرين المكان
الذي تفضلين الذهاب إليه ؟ ..

فنظرت الفتاة إلى "لوين" ، ولكنه كان ينظر إلى الخارج ..
وعندئذ التفتت إلى "جوهيمان" قائلة :

- لنذهب إلى حيث يختار "جو" .

فببت الحيرة في أسارير الفتى .. وتردد طويلا وقد اصطلع .. وجهه
بحمرة الخجل إذ رأى انظارهم جميعا تتطلع إليه في انتظار قراره ..
وأخيرا اشرق وجهه وقال :

- لماذا لا نذهب عند "كوكي" ؟ ..

ولم يكن "لوين" يحب الذهاب إلى الملهى في صحبة الفتيتين ولكنه من
ناحية أخرى رأى في ذلك وسيلة لاستطلاع أخبار معسكر الاعداء ..
فقد رآه "جيمس براتر" يغادر منزله في صحبة "افالون" والبحارين ..
وإذا صح حدسه فإن هذا الأمر جدير بأن يبلغه "براتر" للتو إلى مركز
القيادة .. فإذا ذهبوا جميعا إلى الملهى ، في تلك الساعة المبكرة ، فقد

يقدم الأعداء على العمل في صراحة ، وعندئذ تنكشف له أمورهم على حقيقتها .. ولذلك فقد غمغم :

- إنها فكرة طيبة ..

وعندئذ ماتت الكلمات التي أوشكت "أفالون" على النطق بها على شفقتها .. فقد كانت تريد أن تقول إن ذلك الملهى يكون سخيفا مملا في تلك الساعة المبكرة ، وإنها لا تحب الذهاب إليه ، ولكن عندما أبدى "لوبيين" موافقته ، أخذت إلى الصمت وهي تلقي عليه نظرة حائرة ..

وأحب "لوبيين" أن يعرف ما يبطن الفتى ، فقال :

- ولكن لماذا اخترت "كوكي" بالذات ؟

فاجاب "سام جفريز" :

- إن زملائي لا يفتنون يقولون إنه مكان جميل يقضي فيه المرء وقتا طيبا .. فإن المرء إذا عاد من الشرق الأقصى يحتاج إلى مكان مثل هذا ليستمتع فيه بإجازته ..

- أه ! .. وهل سمعت باسم "كوكي" ، في الشرق الأقصى ؟

- أجل .. من بحارة البواخر الأخرى ..

- ولكنك لم تذهب إليها قط ؟

- كلا ..

- ليتني أذهب إلى الشرق مرة ! .. فإن له سحرا يشوقني إلى رؤيته .. ترى أين كنتما في رحلتكما الأخيرة ؟

وبينما مضى "سام" يعدد الجهات التي مرا بها كان "لوبيين" يفكر في تلك الحقيقة ، وهي أنهما لم يذهبا إلى قبو "كوكي" ويخيل إليه أن ذلك لا يتفق والفكرة التي كونها في بادئ الأمر ..

وشعر بأن هناك حلقة للاتصال بين بحارة البواخر وبين قبو "كوكي" فهل هو "جيمس براثر" ؟ أم المرحوم "البرت برايدفورد فولي" ؟ ..

ثم إن "فولي" كان على صلة بالدكتور "لرمان" .. وهذا الأخير وثيق العلاقة بقبو (كوكي) أو بالأحرى بشخص معين فلا ريب أن هناك حلقة معينة تربط بين هؤلاء جميعاً .

ومهما يكن من أمر ، فقد ذهبوا إلى الملهى .. وكان خاويا إلا من بعض الرواد المتناثرين هنا وهناك .

ومن هؤلاء كان 'جيمس براتر' ، منهمكا في الحديث مع كاي ناتيللو .. وما كاد يلحظ دخولهم حتى ضاقت عيناه ، وغاب مائتته ومضى يسير نحوهم في تمهل .

- ٥ -

احس 'كوبين' بحاسته السادسة المرفهة ، بنظرات 'جيمس براتر' وهي تخترق ظهره ، فالقى نظرة سريعة خلفه ، ورأى الرجل وهو يتقدم نحوهم ، فادرك للتو أنه يريد أن يتحدث إليه ، بل لقد كان في وسعه أن يحبس كل كلمة من العبارات التي سيوجهها 'براتر' إليه .. ومن ثم همس في أذن 'أفالون' قائلاً :

- خذي زميليك إلى إحدى الموائد البعيدة ، وسالحي بكم بعد أن اتبادل كلمتين مع صديقنا هذا .

فسارت الفتاة بين الشابين إلى الطرف الأقصى للقاعة على حين وقف 'كوبين' في انتظار 'جيمس براتر' الذي ابتدره قائلاً :

- ما الذي جئت تفعله هنا بحق السماء ؟

فارتسمت على شفتي 'كوبين' ابتسامته المألوفة المظاهرة البراعة ، كما التمعت في عينيه لمحة السخرية التي طالما عصفت بأعصاب أعدائه ، بحيث تملل 'براتر' في وقفته وأخذ يجول بنظراته هنا وهناك وهو لا يستطيع أن يواجه بها 'كوبين' فمرت نظراته على البحارين وهما في صحبة 'أفالون' ، ولكنه لم يبد في عينيه ما يدل على أنه يعرفهما .. وأخيراً أجاب 'كوبين' :

- لقد بذل كثير من أبناء هذه البلاد دماهم في سبيل الحرية والديمقراطية يا صديقي العزيز ، حتى فازوا بها وغدت تعاليمهم دستوراً موروثة على كر السنين .. ومنها أنه من حق مواطن مثلي أن يدخل أي محل عام يعجبه ، حتى لو كان وكراً خبيثاً ، فاسد الهواء يقدم اشربة مغشوشة كهذا !

فاجاب 'براتر' في دهشة وحنق :

- إن وراء مسلكك هذا شيئاً لا أفهمه .. ففي بادئ الأمر جئت إلى

مسكني بتلك الأكاذوبة الصارخة عن الصحف والأبحاث .. ثم تبعني إلى هنا بعد ذلك .. فلماذا ؟ إنني أعرف من أنت ! .. فانت أرسين لويين ! ولكني رغم ذلك لا أستطيع أن أفهم لماذا تتبعني إلى هنا ؟ - أتبعك ؟ إنك يا بني لست بالذي أتبعه إلى مثل هذا الركن من الفردوس المفقود .. ولكن ما دمت قد استطعت الحضور إلى هنا بمثل سرعة البرق فيسرني أن أراك ، وأن أصل ما انقطع من حديثي معك .. لماذا لا تجلس معنا ؟ إنني لا أزال في حاجة إلى جمع المعلومات التي أريدها ..

فنظر "برائر" إلى المائدة التي جلست إليها "أفالون" والفتيان في إمعان ثم أجاب :

- شكرا لك .. يسرني أن أقبل دعوتك .

فلما بلغا المائدة ، كان "سام جفريز" يقول مسترسلا كأنما يتم حديثا بداه - - .. وكان هناك ذلك الرجل الذي كان ينبغي لنا مقابلته في (شنتهاي) .. وأراد "جو" أن يشرب حتى يثمل أولا ، ولكنني قلت له إننا يجب أن نرى ذلك الرجل قبل أن ..

ولكنه قطع حديثه ، ورفع ناظره إلى أعلى .. وبدت عليه لمحة من المعرفة حين نظر إلى "برائر" في غير دهشة أو تعجب ومع ذلك قال -
لويين :

- لقد كنت أحدث مس "دكستر" عن رحلتنا الأخيرة ..

وحدث شيء وقتئذ ، ولكن "لويين" لم يتبينه تماما .. وقد يكون ذلك الشيء نظرة ذات مغزى ، أو وكزة بالذراع أو بالقدم أو إيماءة خفيفة من "جيمس برائر" .. فقد كف "سام جفريز" عن الاسترسال بغثة .. ولم يكن ينظر إلى "برائر" أو إلى غيره من الحاضرين ، ومع ذلك فقد بدت عليه علامات التفكير العميق وخبا تالق عينيه فغدت نظراتهما باردة جوفاء ..

ونهض الشابان عندما قدم لهما "لويين" "جيمس برائر" ، فصافحاه في جمود وبغير احتفاء .. وظل "سام" واقفا ثم قال لرفيقه :

- يحسن أن تنصرف الآن يا "جو" ..

- كما تشاء ..

فقالت "أفالون" ، وهي تعلم أن الشاب قد عقدا النية على الانصراف :

- لا تذهبا الآن .. فإنكما لم تمكثا إلا لحظة وجيزة .

بينما قال "لوبين" :

- اتمضيان الآن والحفلة توشك أن تبدأ ؟

فقال "سام" :

- إنك تعلم يا "لوبين" أننا قد عدنا للنو من رحلة طويلة ، وينبغي أن

يبحث كل منا عن فتاته .. خصوصا وأن الأنسة "دكستر" مشغولة معك ..

وتصافح الجميع ثانية .. ومضى الفتيان في طريقهما .. وتقدمت

"كاي ناتيللو" نحوهم لتحيي "لوبين" و"أفالون" ، ولكنها لم تمكث طويلا .. فما كادت تنصرف حتى قال "لوبين" لـ "برائر" :

- والآن حدثنا عن الدكتور "زلمان" .

فلم تطرف عين "برائر" ، ولم يبد عليه القلق والاضطراب وهو يقول :

- وماذا يمكن أن أقوله عنه ؟ إنه طبيب نفسي .. وقد يكون بارعا ..

ولكنه على أية حال يتقاضى أجورا عالية .

- حسنا .. دعنا منه الآن ، ولننصرف إلى ضرب آخر من التسلية ..

فرفعت "أفالون" حاجبيها دهشة ، وقالت :

- وكيف تنوي أن تفعل ذلك ؟

فابتسم "لوبين" في دعة ، وقال :

- باختبار معرفتي باللغات يا عزيزتي ..

ثم مال نحو "برائر" وحده بنظراته قائلا :

- فمثلا هل تعرف كلمة "كوجاك" ؟

فلما أخذ الرجل إلى الصمت ، استطرد "لوبين" مفسرا :

- إنه اصطلاح يطلق على زهر نبات معين يزرع غالبا في آسيا ..

فعندما يجف ساق النبات ، وتتساقط أوراقه ، تفرك الأزهار الهشة

بالأصابع وتتحول إلى مسحوق هو الذي يسمى "كوجاك".
فقال "أفالون":

- ما الذي تتكلم عنه؟

- اعتقد أن مستر "براثر" يمكن أن يفهم ما قلت ..

فاختلجت أهداب "براثر" وقال:

- إني أسف .. فلست أفهم ما تعنيه .

- أه ! هذا لا يهم .. فلنتحدث إذن عن شيء آخر ..

ولاحظ "لوبين" في تلك اللحظة ، أن كاي ناتيللو ، التي كانت تقف في
ركن قصي ، قد غادرت القاعة من باب خلفي .. فهل أشار لها "براثر"
إشارة خفيفة لم يرها هو (أي "لوبين") ؟

ثم استطرد قائلاً :

- لا ريب أنك تحيا حياة مشوقة يا مستر "براثر" باتصالك بمعظم
موانئ العالم .

فحملق إليه "براثر" ، وقال :

- إنك تتكلم بالأحاجي والألغاز يا "لوبين" .. فلست أفهم ما الذي
تعنيه؟

ولم يكن ثمة مجال للشك في صدق الدهشة التي ارتسمت في هاتين
العينين الزرقاوين ، مما دعا "لوبين" إلى التمثل قليلاً في هجومه ..
فقد كان استنتاجه عن العصابة التي يطاردها أن "براثر" هو أحد
الأركان المهمة فيها .. وقد أكد "سام جفريز" هذا الرأي في حديثه الذي
لم يثمه عندما كان يقول لـ "أفالون" :

"وكان هناك ذلك الرجل الذي كان ينبغي لنا مقابله في شنغهاي"
فإن ذلك كان يتفق مع نظرية "لوبين" عن عبارة (لقد أرسلني
جورج...) .. فقد تم الاتصال بين "سام جفريز" والعصابة هنا ، وتزويده
بالتعليمات اللازمة ، وربما بنفعة على الحساب .. ثم استلام لفافة
كبيرة أو صغيرة في أحد موانئ الشرق ، وإحضارها لتسليمها إلى
"جيمس براثر" في نيويورك . لقد كانت النظرية سليمة من كل الوجوه

.. ومع ذلك فإن الدهشة التي تبدت في أسارير الرجل تدل على أنه لم يفهم تلميح 'لوبين' حقا .. فهل كان 'برائر' أبرع مما يبدو عليه ؟ وهل كان يؤدي دوراً معيناً لتضليل 'لوبين' وإبعاده عن الأثر الصحيح ؟ أم أنه لم يفهم غرض 'لوبين' حقا ؟ ولكن إذا كان الأمر كذلك فلماذا حضر إلى الملهى رأساً عقب الزيارة التي تلقاها من اثنين من البحارة عاداً من الشرق ثوا ؟

لا ريب أن لمستر 'برائر' صلة بهذا الأمر .. وعلى 'لوبين' أن يحدد هذه الصلة تماماً .. فاستطرد قائلاً :

- حسناً .. هذا لا يهم أيضاً .. فلدينا أشياء أخرى أكثر أهمية لننتحدث عنها ولكن يجدر بنا أن نملاً كؤوسنا ثانية ..

ثم دعا الساقى وأمره بإحضار ثلاث كؤوس أخرى من الشراب الذي كانوا يشربونه ، وبعدئذ أردف يقول لـ 'برائر' وهو يبتسم :

- إنني لم أكن أصيد في الظلام حقا ، ولكني أعتقد أن ملاحظاتي لم يجانبها الصواب
فاجاب 'برائر' :

- مهما كان ما تقوله فإنني أحب حديثك .. فإن لك صوتاً مشوقاً جذاباً .. ومع ذلك فلست أرى ما الذي يدعوك إلى إنفاق وقتك معي ..
- هل نسيت أنني لا أزال أجري تحرياتى عن الدكتور 'زلمان' ؟
فهقه 'برائر' وقال :

- لقد نسيت حقا .. أه .. ها هو ذا الشراب قد حضر ..
وكان الساقى ، وهو رجل وحشي الصورة أشبه بحداد القرية ، قادماً نحوهم ومعه أقداح الشراب... ولكن عين 'لوبين' المدربة تبينت التغير الذي وقع للساقى وللشراب معا .. فقد كان الساقى عندما تلقى أمره وهرع لتنفيذه يبدو خاضعاً دمث الخلق شأن من يرغب في إرضاء الزبائن .. أما الآن فقد حضر وعلى محياه مظاهر التحفز للشر .. كما أن الشراب الذي جلبه لم يكن الشراب المطلوب ، وإنما كان غيره!..
فلما بدا يضع الأقداح على المائدة قال 'لوبين' له :

- اسف .. لم اطلب هذا الشراب ..
فقال الساقى في قحة :
- ماذا ؟ .. هل تريد إثارة المتاعب ؟ ..
- كلا ! .. بل أريد فقط الشراب الذي طلبته .
- بل يخيل إلي أنك تريد العراك ، فقد طلبت شرابا معينا ، والآن تتكلم عن غيره فما الذي تسعى وراءه ؟
- لا شيء .. إنني أحاول الحصول على الشراب الذي طلبته ..
- وماذا أفعل بهذه الكؤوس ؟
- إذا كنت قد أخطأت فإنني مستعد لتحمل ثمنها .. أما إذا كنت قد تعمدت الخطأ فيمكنك أن تسكبها فوق رأسك ..
- فتطلع إليه الساقى في قحة بادية ، ورفع الساقى الاقداح ثم مضى بها .. بينما ظل "لوبين" محتفظا بهدوئه ، وراح يتحدث عن الصور المنقوشة على الجدران بريشة مستر "بيرفيلد" الذي ينبض بالأنوثة !
- فلما حضر الساقى ثانية ، كان من الواضح أن في الأمر سرا ، إذ جلب شرابا من نوع جديد غير الذي يريده "لوبين" فلما نبهه إلى ذلك ثار متوقعا وأبى أن يستبدله ، وأشار إلى مدير الملهى فحضر على عجل سائلا عما حدث .. فلما أخبره "لوبين" بشكواه قال في ترفع :
- إذا كانت الخدمة هنا لا تعجبك فلماذا لا تنصرف ؟ ..
- ولماذا ؟ ..
- لا شيء .. فإننا تحتفظ لأنفسنا بالحق المطلق في رفض تقديم الشراب لأي شخص وهاك اللافتة التي كتب عليها ذلك -
- ثم أشار إلى لافتة صغيرة معلقة فوق (المقهى) ..
- إذن فأنتم ترفضون تقديم شيء لي ؟
- لن نستخدم هذا الحق إذا لم تثر المتاعب .. وهذا آخر تحذير لك ..
- ثم أشار إلى الساقى بيده قائلا :
- أحضر له ما طلب ..
- ومع ذلك فقد عاد الساقى للمرة الثالثة بغير الشراب المطلوب ، فما

كاد "لوبيين" يراه حتى قال وهو يبتسم في جذل :

- لقد صبرت عليك كثيرا يا بني ، وتلقيت قحتك وسلاطتك في صبر وحلم .. ولكنني احزنك بانك إذا لم تجلب لنا الشراب المطلوب في المرة القادمة ، فسوف اجعل والدك تندم على أنها لم تؤيدك قبل أن اتولى عنها ذلك ..

- إذن فانت تبغي العراك ؟ .. حسنا .. هالو 'جاك' !

فكف عامل البار عن العمل الذي كان بيده .. وكان يبدو انه هو المسمى 'جاك' .. وكان عملاقا يبلغ المترين طولا ، عريض المنكبين ، بادي الشراسة ، كانه مصارع قديم وما لبث أن خرج ثم اشار إلى ساق ثان بأن يتبعه ..

ولم يتحرك 'لوبيين' من مكانه قيد شعره كما لم تغب الابتسامة عن شفتيه ، وظل يرقب الكتيبة التي تحركت نحوه ، كما يرقب ملهاة مسلية ، وهو يزن قوتهم وسرعة حركاتهم .

وكان يرى الاهتمام بادبا في عيني 'برائر' ، والقلق .. مرتسما في اسارير 'افالون' ويدها المنقبضتان في تحفز .. ومع ذلك فقد ظل كما هو حتى دنا منه 'جاك' ورفيقه وقالوا في هدوء :

- هيا اخرج من هنا ..

فلم يتحرك 'لوبيين' وإنما تظاهر بالدهشة ، وقال :

- ماذا ؟ ما معنى هذه القحة ، يجب أن يحضر المدير حالا ليفسر هذا المسلك ..

- إن المدير ليس في حاجة إلى تفسير شيء .. فسنقولى نحن التفسير اللازم ..

- إذن افعل يا بني .. وعجل ..

وعندئذ قالت 'افالون' :

- ما معنى هذا يا 'جاك' ؟

- إن المدير لا يريد هنا ، وهذا كل شيء ... وسوف نلقي به خارجا إذا لم ينسحب في هدوء ..

ثم تحول إلى "لوبين" قائلا :

- اسمع .. هل تريد أن نجعل وجهك مستويا كالقطيرة ؟

أم تذهب إلى الجحيم بوجه سليم ؟

فاشار "لوبين" إلى المائدة أمامه وقال :

- ولكني لم أفرغ من احتساء شرابي .. وكذلك صديقتي ؟

- يمكنها أن تنتظر .. ولكنك أنت الذي ستخرج ..

فابتسم "لوبين" في سخرية وقال :

- لقد كنت دائما أعجب مما يدفع بعض الحمقى إلى طلب

المستحيل .. فينبغي أن يعلم كل شخص هنا أنني لن أخرج إلا مع مس
"دكتور" ..

- هل تريد أن تخرج على قدميك أم محمولا على الأعناق ؟

وكان "جاك" يقول ذلك في هدوء تام كأنما يلقي سؤالاً عادياً طبيعياً ..

وعندئذ نهض "لوبين" في تراج وهو يقول :

- معذرة يا مستر "برائر" فقد بدأ حديثنا يشوقني كثيراً .. ولكني

سوف أكون معك بعد لحظة .. فهؤلاء الأولاد قد أقلقهم الانتظار ويجب
أن أفرغ منهم أولاً ..

ثم تحول إلى "جاك" ، وأردف :

- ما ينبغي أن تكون ولداً شريفاً يا "جاك" .. هكذا حذرنا أبوك من

قبل .. فاذهب الآن والعب مع رفاقك ولا تحاول قطع الحديث على من هم
أكبر منك سناً ...

فاشار "جاك" إلى الساقين ، وتقدموا جميعاً دفعة واحدة .. ولكن

"لوبين" أسرع في حركة خاطفة بالقضاء على الساقين الذي جاء مع

"جاك" ، فصوب إلى وجهه لكمة جمع فيها مائة وثمانين رطلاً من

العضلات الفولاذية ، فطوحت بالرجل إلى الجدار حيث جلس ممدود

الساقين جاحظ العينين فاغر الفم تحت صورة من رسم مستر

"بيرفيلد".

وانتهز "جاك" هذه الفرصة الخاطفة فانقض على "لوبين" وطوقه

بذراعه في قوة شديدة شعر بها "كوبين" حول خصمه ككلاية من الحديد.. وفي الوقت نفسه انتهز الساقى الثاني الفرصة ليركل "كوبين" في بطنه .. ولكن "كوبين" انحنى إلى الامام وامسك بركبة الرجل وراح يثنيها في عنق فلم تمض لحظات حتى سمع الحاضرون صوت طقطقة العظام وهي تنخلع من مكانها ، كما سمعوا الصيحة التي انبعثت منه اشبه بعواء ذئب جريح ..

وعندئذ تفرغ "كوبين" للمدعو "جاك" ... فخلص نفسه من قبضته ثم تحول فلكمه بيسراه في فكه لكمة جعلته يرفع قامته ، ثم ثنى بيمناه في بطنه فجعلته يتحني من فرط الالم .. وتوالت اللكمات على هذا المنوال حتى غدا "جاك" اشبه برجل مفرط الالب يوالي الانحناء امام سيد له عالي القدر ! ..

وبلكمة قاضية ، انزلق "جاك" على ظهره بين الموائد مستقرا في وضع مريح وهو يحدق إلى السقف بعينين جامدتين ..
وعندئذ تحول "كوبين" نحو "آفالون" ، قائلا في مرج :
- هل تحبين ان ننصرف يا عزيزتي ؟

ولقد رأى "كوبين" فيما حدث في الملهى من تعمد التحرش به والاعتداء عليه ، دليلا جديدا على أن افراد العصابة راوا في اهتمامه بامرهم ما يقلقهم .. فإنهم بعد أن كشفوا شخصيته ، وتبينوا أن له غرضا معيناً من التدخل في شؤونهم ، لم يستطيعوا الصبر على فضوله ، ومن ثم بدعوا يناصبونه العداء سافرا .. وإذا كان "كوبين" في حاجة إلى تعديل خطته بعد ذلك ، فإنما كي يكون أكثر حذرا في المستقبل ...

وقد فشل في معرفة المزيد عن موضع مستر "براثر" الصحيح في تلك المغامرة ، أو العلاقة بين سائر افراد تلك العصابة التي يحاول "كوبين" الكشف عن خفاياها .. بل إنه فشل أيضا في معرفة حقيقة الدور الذي تلعبه "آفالون" دكستر" نفسها ... فعلى الرغم من توثق الصلة بينهما ، فإنه لم يستطع معرفة شيء عنها أو منها .

ومع ذلك فإنه عندما اتصل بها في التليفون في الصباح التالي ، كان
صوته مشبعاً بالعاطفة الحارة والحب الملتهب ..

واجابت تحيته قائلة :

- طاب صباحك يا عزيزي ... فكيف حالك اليوم ؟

- إنني شديد الانفعال !

- ولماذا يا ترى ؟

- لأنني على موعد للغداء !

فتنهت الفتاة في أنسى ، وعندئذ ضحك "لوبين" وقال :

- مع فتاة جميلة ... اسمها "آفالون" !

فشهقت "آفالون" من الفرح ، وهتفت :

- اه ! .. ولكنني لا أنوي الحضور !

- محال .. فإنك مدعوة معي للغداء مع الدكتور "زلمان"

- هل اتصلت به ؟

- إنه هو الذي اتصل بي ثانية فلم أستطع التخلص منه هذه المرة ..

والواقع إنني عولت على تلبية الدعوة لأن إلحاحه هذا قد أقلقني ،

وأود أن أعرف المزيد عنه .. ولا أعتقد أنه قاصر على تدبير مؤامرة في

مطعم (٢١) الفاخر ..

- وهل الدعوة هناك ؟

- نعم وسوف أمر بك في الساعة الثانية عشرة تماماً ..

وفي الموعد المحدد ، كانا يجتازان باب المطعم .. فلما سأل "لوبين" عن

المائدة المعدة لهما قيل له إن الدكتور "زلمان" ينتظرهما ..

وكان الطبيب يقف في انتظارهما وهما يجتازان القاعة الكبرى

تحوه ، وقد بدا بطوله الفارع وثيابه الأنيقة ورأسه المرفوع المجلل

بالشيب أشبه بفرسان العصور الوسطى ..

وهش لهما قائلاً :

- يا عزيزي مستر "لوبين" ويا عزيزتي الأنسة "كاستر" .. شد ما

يسرني أنكما حضرتما في الميعاد .. هلا جلستما ؟

فجلس الثلاثة حول المائدة واستطرد الطبيب : إنني يا مس "دكتور"
أجد لزاما علي أن أعتذر عما بدر مني في تلك الليلة ...
فاجابته الفتاة :

- لا عليك يا دكتور ... لقد نلت جزاءك ..

فتورد وجه الطبيب قليلا وهو يلتفت إلى "لوبين" قائلا :
- واعتذاري لك أيضا يا سيدي ..
فغمغم "لوبين" :

- العفو يا دكتور !

وأرشف "زلمان" يقول :

- يمكننا أن ننسى هذا الأمر كله ، ونغدو أصدقاء ، حتى نستمتع
بالطعام فإنني أتناول طعامي هنا دائما لأنه يقدم أصنافا ممتازة و ...
ومضى الحديث على هذا النحو ، بينما كان "لوبين" يجوب القاعة
بنظراته المستطلعة ويرقب الخدم وهم يروحون ويغدون في خفة
وسرعة بثيابهم النظيفة الأنيقة ..

وطلب الدكتور "زلمان" كؤوسا من الشراب الفاخر قبل الطعام ، فقال
لوبين : - إنه جميل منك أن تدعونا للغداء ... فقد كان عمي يقول إن
الطعام المجاني هو خير الاطعمة والذها ! ..
فابتسم الدكتور "زلمان" ، وقال :

- ولكنني أشعر يا مستر "لوبين" أنك قلما تدعى إلى الطعام ، لقله من
يجاملونك .

فلم يزد "لوبين" على أن هتف :

- أه ! ..

وحول عينيه إلى "أفالون" وهي تجلس في هدوء ، وقد اتسعت
عينها في دهشة وتساؤل .. على حين طرق الطبيب موضوعا جديدا
فقال :

- لقد تعلمت أشياء كثيرة من عملي كطبيب نفسي ، منها أن الإنسان
يعطي في الحياة أكثر مما يأخذ ..

واسترسل الطبيب في بسط نظريته والتدليل عليها بأن مستوى المعيشة يتقدم باطراد وأن الجيل المعاصر يعيش عيشة افضل مما كان يعيش اجداده ، مما يدل على أن بعض الناس انفقوا من جهودهم ومن عصاره افكارهم اكثر مما نالوه لقاء ما انفقوا ..

وكان كوبيّن يتساعل في قرارة نفسه عن الهدف الذي يرمي إليه الطبيب من وراء هذا الحديث .. فما من ريب انه لم يدع كوبيّن "وآفالون" للغداء كي يبسط لهما نظرياته الفلسفية ولكن لينتظر قليلا ، فسوف يكشف الطبيب عن اغراضه ولا بأس من أن يلمح له بكلمة لدفعه إلى كشف أوراقه ..

فقال :

- ولكن هل سمعت عن الشرق يا صديقي ؟

- لست افهم ما تعنيه تماما

- إن مستوى المعيشة في الشرق لا يزال في حالة تبعث على الاسى .. ولا يزال الملايين من هؤلاء الناس ينفقون جهودا مضنية في سبيل العيش .. فما الذي يتألمونه لقاءها ؟

فلوح الطبيب بيده ، وقال :

- ما الذي يتألمونه ؟ الحياة يا عزيزي مستر كوبيّن .. الهبة الوحيدة التي يستمتع بها الإنسان في حرية .. فإذا لم يحسنوا الاستمتاع بها فهذا شأنهم...

- اتعني أن إرادة الإنسان فوق كل شيء ، وانني استطيع أن أكون رئيس الجمهورية ، أو حارسا للكلاب ؟

- هذا يرجع إليك وحدك ..

- مهلا يا صديقي .. دعنا نبحث حالة (شانج) مثلا .. فارتفع حاجبا الطبيب ثانية ، وغمغم :

- (شانج) ؟

- نعم .. فيحكى أن السيد "شانج" هذا راح يدخن غليوناً من الأفيون ذات مرة على سبيل التفكه والتسلية .. وكان ذلك بمحض إرادته ..

ولكنه اعد الكرة ثانية وثالثة .. ولم يكن ذلك بمحض إرادته الآن وإنما بإرادة بعض الناس الذين يريدون الكسب من ورائه .. وانتهى امر 'شانج' بأن غدا مدمنا ، وهجر أسرته ، وبيته ، وكل شيء .. فاين الإرادة الحرة يا سيدي الطبيب إذن ؟

- لقد كانت إرادته هي التي دفعته إلى التدخين أول مرة ..
- ليس تماما .. فبعض الناس هم الذين يسروا له ذلك وجعلوا المخدر في متناول يده .. ودعنا من 'شانج' أو الملايين من أبناء بلده ، وتعال بنا إلى مستر (جورج) الذي يقطن في (نيويورك) ...
- إن مجرى افكارك يدهشني كثيرا يا مستر 'لوين' ..
- لا شيء من ذلك يا عزيزي 'زلمان' .. فالواقع أن حالة 'شانج' في الصين هي نفسها حالة 'جورج' أو 'جاك' في نيويورك . وحتى أمريكا الجميلة لا تعدم أناسا لا يباليون بالوسيلة التي يجمعون بها مليوناً من الدولارات ماداموا يجمعونه ولا يكتثرون للضرر الذي يصيب الغير من جراء ذلك ، و'جورج' أو 'جاك' هو الرجل الذي نسعى 'نحن' وراءه ، ولن نعدم أن نجده في اوساط الاشقياء والنصوص والنشالين الذين يحبون أن يبخنوا غليوناً عقب يوم حافل بجلال الأعمال ..
فمال الطبيب إلى الامام ، وقال في لهفة :
- من هم 'نحن' يا مستر 'لوين' ؟ ..
- لنفرض اننا نحن الجالسين حول هذه المائدة ، لمجرد فهم المناقشة ..

فقال 'أفالون' :

- أما أنا فلا .. فإن لدي من المشاغل الخاصة ما لا يحتمل المزيد .
واستطرد 'لوين' :
- في هذه الحالة فنقسم مهمتك إلى شطرين اولهما نقل المخدر إلى هنا ، والثاني بيعه .. فإذا امكنتك حل المشكلة الاولى ، بقيت الاخرى ..
ولكن كلاهما ميسور .. فمن الذي يذهب ويعود من الشرق الآن ؟
البحارة بالتأكيد .. وفي وسعهم إحضار البضاعة معهم .. اما العميل

فأمره سهل ، إن المدينة ملأى بالأوساط الدنيا التي ترحب بغليون من
الآفيون ..

- بالله هذا ما أريد أن أعرفه بالمثل يا "لوبين" ..

فقهقه "لوبين" في جذل ، وقال :

- "زلمان" ؟

- لست أدري إلى أين يقودنا هذا الحديث يا مستر "لوبين"

وران الصمت فوقهم لحظة راحوا خلالها يرشفون كؤوسهم ، ثم
يطلبون غيرها ، حتى قال الطبيب أخيرا :

- أحسب أن من هواياتك يا مستر "لوبين" ، بحث الجرائم الغامضة
التي تذكر الصحف أنبأها .. فمثلا مصرع "البرت فولي" بحي
(بروكلين) يحيرني كثيرا لشدة غموضه ..

فجذب "لوبين" نفسه طويلا من لغافته وراح يفكر في سرعة .. إن
الطبيب يدفعه إلى الموضوع دفعا ، وهي نتيجة لم يكن يتوقعها "لوبين"
.. ولكن إذا كان الأمر كذلك ، فلتكن مشيخته إذن .. فقال :

- نعم .. فحتى في هذه الأيام ذات الرزق الوفير ... ينبغي أن يحزن
الطبيب عندما يفقد أحد مرضاه ..

- إنني لم أكن أفكر في المال الذي أربحه منه ..

وكف الطبيب عن الاسترسال بغثة ، ثم أرفف :

- كيف عرفت أنه كان ضمن مرضاي ؟ ..

- رايت اسمه في مفكرة المواعيد في عيادتك ..

- ولكن قل لي يا مستر "لوبين" .. متى جئت إلى عيادتي ؟

فتظاهر "لوبين" بالدهشة ، وأجاب :

- أه ! .. حسبك تعلم ذلك .. فقد اقتحمتها مساء الخميس الماضي ..

- ٦ -

وجم الدكتور "زلمان" لحظة أن سمع هذا الاعتراف ، وراح ينظر إلى

"لوبين" في برود قبل أن يقول :

- هل من عادتك اقتحام بيوت الناس ؟

- لست اسميه كذلك عادة يا صديقي ، فإن هذه الكلمة تعني الحمق والغباء...

والواقع انه ليست لي عادات معينة قط ، إلا إذا كنت تدعو النفس عادة .. فهو عادة أتعلق بها تعلقاً شديداً وليس في نيتي التخلي عنها.. وقد صادفت الكثيرين ممن أرادوا أن يحملوني على تركها ، ولكنهم الآن في عداد الراحلين الأعزاء ، نزلوا الجحيم ، فهز الطبيب رأسه ، وقال :

- ولكنك تعلم أنك ارتكبت جريمة شنيعة ، بالنسوة على عيادتي ..
- إنني اعترف بأنها تعد جريمة من الوجهة القانونية .. ولكني حسبك تفهم ظروفي ، فإنني لم أفعل غير تطبيق نظريتك ، إذ اطعت حافزاً خطر لي ..
- ولكنني باعتباري ضحية هذه الجريمة من حقي أن اطلب منك إيضاحاً..

- ألم أقل لك إنني كنت أطبق نظريتك ؟ ولكن هل مستر "فريديناند بيرفيلد" هو الذي رسم تلك اللوحات ؟
فظل الدكتور "زلمان" على جموده ، وقال :

- دعك من هذه الفلسفة فهي شيء آخر .. وحتى يعتنق العالم هذه النظريات فإن القانون هو القول الفصل .. وطبقاً للقانون يا عزيزي "لوين" ، تكون قد ارتكبت جريمة يعاقب عليها ..

- ألا ترى أنك تغالي في تصوير الأمر يا "أرنست" ؟
- إنني أريد أن اتأكد من أنك تفهم موقفك على حقيقته .
- حسناً .. لقد ارتكبت جريمة إذن .. وقد سطوت على عيادتك ، كما سطوت على مسكن المرحوم "ألبرت فولر" أيضاً ، وقد حيرني مصرعه كما حيرك يا عزيزي "أرنست" .. فماذا تريد ؟
وعندئذ حول الطبيب رأسه ونظر إلى ناحية معينة من القاعة ثم أشار بإصبعه.

وتبع "لوين" إشارته هذه فرأى رجلين يجلسان إلى مائدة بعيدة ،

يهمان بالذهوض ، وقد راح أحدهما يدفع شيئا صغيرا أسود اللون تحت المائدة .. وما لبثا أن راحا يشقان طريقهما بين الموائد متجهين نحوهم ، ولم يكن في مظهرهما ومشيتهما أي ريب في أنهما من رجال البوليس السري ..

فلما بلغا المائدة ، قال لهما "زلمان" :

- هل سمعتما كل شيء ؟

فاوما أقصر الرجلين برأسه ..

وانحنى "لوبين" ونظر تحت المائدة فوجد ميكروفونا صغيرا مثبتا بأسفلها ، يمتد منه سلك رفيع ملتصق بإحد قوائم المائدة حتى يختفي تحت البساط ، فلما رفع رأسه بعد ذلك ، كانت تبدو في وجهه علائم الإعجاب ، وقال :

- هذه يا عزيزي الدكتور مسالة طريفة ... فقد كنت أحسب أننا نتحدث حديثا خاصا ولم يخطر لي أن للبوليس دخلا فيه ..

فلم يعبا به الدكتور "زلمان" وقال للشرطيين :

- هذا الرجل هو "أرسين لوبين" ، المجرم المعروف الذي تطلبه حكومات دول كثيرة في العالم بتهم عديدة من السطو والسلب والابتزاز وغير ذلك ..

- إنها مجرد شبهات يا عزيزي ، وليست تهما ثابتة ..

فتحول أحد الشرطيين إلى "لوبين" ، ووضع يده على ثراعه قائلا :

- يحسن أن تأتي معنا ...

فقال "لوبين" في هدوء ، بلهجة امرأة :

- مهلا لحظة ..

ثم نظر إلى "زلمان" ، وقال :

- لقد استقيت معلوماتك من مصدر ما ، ولم تستنتجها من تلقاء

نفسك ، حتى تنصب لي هذا الشرك .. فهل "أفالون" هي التي أرسيتك ؟

فصاحت الفتاة :

- أواه يا "لوبين" ؟ كلا يا عزيزي .. كلا ..

وكان صوتها متهججا ، تبدو فيه اللفظة والاستنكار .. ولم يعرف
"لوبين" إن كان ذلك حقيقة أم تمثيلا ! ولم يحاول النظر إليها ، إذ كان
يحدج الطبيب بانتظار متفرسة ..
فقال هذا :

- يكفي أن يفهم المرء عقلية معينة ، حتى يدرك أفعال صاحبها
جميعا ... فقد زرت مسز "جيرالد ملدون" و"جيمس براتر" ... وكان
هذان صاحبي اثنين من الأسماء الثلاثة المدونة ... بمفكرة المواعيد ..
فيتبع ذلك أنك زرت "البرت فولي" أيضا .. وكان من الواضح أنك أنت
الذي أبلغت النبا إلى البوليس تليفونيا ، إذ كانت كلماتك مما يتفق
واسلوبك تماما .. ولقد علمت أن شخصا ما كان موجودا في عيانتني
في الوقت الذي يجب ألا يكون بها أحد قط ، فارتببت في أنك ذلك
الشخص الذي لبى نداء التليفون .. ولكن كان ينقصني أن أسمع
اعترافك بما يؤيد استنتاجاتي هذه ..

فارتسمت على فم "لوبين" ابتسامة عريضة ، وقال في جنل :
- لقد فهمت .. وإنني يا عزيزي "ارنست" قد أزدبت إعجابا ببراعتك ،
وتضاعف تقديري لمواهبك .. وسوف أنهج في الحياة نهجا آخر في
المستقبل .

- هذا إذا اتسعت لك يا "لوبين" .. فقد كان "فولي" قتيلا عندما تركت
مسكنه ، والبوليس دائب البحث عن قاتله .. ولا ريب أنك تعلم أن
القتلة في هذه البلاد ينتهون فوق كرسي مريح ..
- ليس في هذه المرة أيها الساحر الكهل ..
ثم التفت إلى الشرطيين ، وقال :
- هل نبدأ رحلتنا إلى "سنغ سنغ" ؟
فعبس أطولهما قامة ، وقال في خشونة :
- هيا .. هيا

فلما استوى "لوبين" على قدميه ، نهضت "افالون" واقفة بجواره ،
فراح يتفرس في عينيها بنظرات عميقة ساخرة دون أن تطرف الفتاة
أو تتزعزع ... وأخيرا غمغت .

- إنني لم أفعل يا "كوبين" .. لم أفعل ..

فقبلها "كوبين" قبلة خفيفة ، وقال :

- كوني بنتا طيبة .. ولا تنسي أن تأكلي نصيبي ...

- ولكنك لن تذهب هكذا كالحمل .. ألا تحاول أن تفعل شيئا للدفاع

عن نفسك؟

فاتسعت ابتسامة "كوبين" ، وقال :

- هذه مشيئة الله يا بنيتي ! .. شكرا على الشراب يا دكتور !

ومضى مرفوع الرأس منتصب القامة بين الشرطيين ، دون أن يثير

مرورهم بين الموائد إلا القليل من انتباه الحاضرين ..

ولم يفته أن يفكر في وسيلة بارة للفرار من الشرطيين عندما

يخرجون إلى الطريق .. ولكنه من جهة أخرى لم يردوى في أن يغدو

هاربا من وجه العدالة تطارده قوات البوليس وتعوقه عن إتمام

مهمته .. ومن يدرى ؟ فلعل "كوبين" كان يخفي وراءه سيلا متدفقا من

الأفكار والخواطر .

ولكن قناع الهدوء وقلة الاكتراث التي كانت تكسو وجه الدكتور

"لرمان" قد امعن في تطبيق نظرياته النفسية واستنتاجاته فحدس

مقما أن "كوبين" سوف يحاول الفرار ، فاعد لذلك مشهدا مسرحيا

جديدا ؟ .. او لعله الآن يجلس في المطعم هادئا وقد اصاخ بسمعه

مترقبا نوي طلقات الرصاص التي تريحه من تدخل "كوبين" إلى الأبد ..

وكذلك لفظ "كوبين" فكرة محاولة الفرار .. وقنع بالانتظار والامل في

أن تكون (الزنانة) التي سيودعونه بها في السجن ذات نافذة على

الفضاء ! ..

ودعا الشرطي الطويل عربة ، والقى أوامره على سائقها بصوت

خافت ، ثم جلس فيها "كوبين" بين الرجلين .. وبعد برهة قال "كوبين"

للشرطي الذي إلى يساره :

- ما قولك في كأس من الشراب ؟

ولكنه صاح به :

- اصمت ! ..

ومضت دقائق ، وإذا بالشرطي الطويل ينظر إلى ساعته فقال
"لوبيـن" :

- على فكرة .. ما هي الساعات المحددة للزيارة في سجنكم ؟
فصاح به زميله :

- اصمت ! ..

وطال سير العربية .. واجتازت (سنترال بارك) ثم عرجت على
البحيرة ، وأخيرا مضت تسير بجوار حديقة الحيوانات فنظر "لوبيـن"
نظرة ذات مغزى إلى الأقفاص ، ثم قال :

- ما هو الموعد المحدد لعودتكما ؟

وعندئذ صاح به الرجلان معا :

- أخرس ! ..

فاشعل لافاة ، وراح ينفث بخانها في تفكير عميق ، وهو يعجب إلى
أين يمضي الشرطيان به ! وزاد من قلقه أن كان أطولهما لايفتا يتطلع
إلى ساعته بين لحظة وأخرى .. وخشي أن يكون في نية الرجلين أن
ياخذاه إلى أحد السجون البعيدة المنعزلة حيث لا يستطيع الاتصال
بأحد ..

ونظر الشرطي مرة أخيرة إلى ساعته ، ثم صاح بالحوذي :

- كفى ! ..

فاوما الحوذي براسه ، وعاد بالعربية خبيبا و"لوبيـن" يزداد عجبه بين
لحظة وأخرى ، حتى بلغ ذروته عندما وقفت العربية امام فندقه ! ..

وعندئذ خرج الشرطيان عن عبوسهما وقال القصير :

- حسنا .. هيا اصعد إلى حجرتك ..

فقال "لوبيـن" ذاهلا :

- وبعد ؟ ثم ماذا ؟

- سوف ترى !

فاوما براسه في جذل ، ثم أسرع إلى حجرته ، فالفى جرس التليفون

يرن رنيناً متواصلاً ..

وإذا بصديقه "هاملتون" يقول له :

- يحسن بك أن تكون أكثر حذراً .. وإلا فهل تظن أنني لا عمل لي أو لرجالي إلا إنقاذك من المازق التي تترج بنفسك فيها ؟

خيم الصمت فترة طويلة ، عقب انصراف "لوبين" مقبوضاً عليه ، على "أفالون دكستر" والدكتور "زلمان" .. فكانت الأولى مستغرقة في التفكير جامدة الأسارير لا يبين محياتها الساكن عما يعتمل في نفسها من اضطراب .. على حين كان الطبيب يداعب بأصابعه الدقيقة كأس الشراب وينقر على علبة سجاثره الذهبية وهو يجيل في القاعة نظرات متراخية على غير هدى ويون قصد معين .. وأخيراً قال :

- إنني أسف ..

وشفع ذلك بابتسامة ملؤها العطف والشفقة ، فهزت الفتاة كتفيها قائلة :

- ولماذا تأسف ؟

- إنني لم أكن أود يا مس "دكستر" أن اسبب لك حزناً أو أخرج فؤادك ..

- ولكنني لا أعنى بغير نفسي يا دكتور ..

- هذه يا عزيزتي أعظم ميزة فيك ... فإن المرء لا يتوقع من فتاة مغرطة الجمال مثلك أن تكون متعلقة بالحب وهذه الأوهام الأخرى .. إذا جاز لي أن أقول ذلك .

- لك ذلك يا دكتور .. ومهما يكن من أمر ما تقول فإنه يفتح لي باب الخروج .. وداعاً ..

فرفع يده الناصعة البياض ، وقال :

- لا تذهبي .. فإنك لم تتناولتي طعامك بعد ! ..

- لست جائعة ..

- إذن أصغي إلي قليلاً .. فلدي معلومات قد يكون من صالحك أن تعرفيها ..

واستطرد الطبيب :

- إنها بشأن مستر كوين ... وعلى الرغم من أنه يسرني أن اصارك بأنني أهتم اهتماما شخسيا بسعادتك ورفاهيتك ، فإن ما اود قوله لك لا يعدو نصيحة فنية أביدها لك بحكم مهنتي كطبيب نفسي ..

فابتسمت "أفالون" في تكلف بينما استطرد الطبيب :

- ما من أحد لا يعترف بأنه شخص يبدو من أبطال الأساطير والأحلام ، وله جانبية مغناطيسية تجذب إليه النساء الخياليات ، حيث يتمثل لهن فيه ما يتشدهن من سحر وشهرة ومال ومغامرات ولكن ما أريد أن أقوله يا مس "دكستر" هو أن مثل هذا الشخص دائم القلب ، كثير الأهواء والنزوات ...

فاتسعت ابتسامة "أفالون" ، بينما تابع الطبيب حديثه :

- كما أن مسلكه في الحياة دائب التعثر في المغامرات والجرائم والأخطار .. وقد علمت أن كل من ارتبط معه برباط وثيق ، نكرا أو انثى، قد لقي حتفه بطريقة ما .. وإذا كان قد نجا من الموت حتى الآن ، فلا مناص من أن يأتي يوم يا عزيزتي مس "دكستر" تتخلى عنه آلهة الحظ ، فيرد الهلاك ...

فنهضت "أفالون" بغتة وهي تقول في حلق :

- وهكذا إلى آخره .. إلا تدعنا من هذه الفلسفة يا دكتور فقد رأيته بنفسك يتهمني بأنني وشيت به إليك وأطلعتك على تحركاته وأفعاله .. ومن ثم فلست أرى خطرا يتهددني من أعدائه كما تلمح لي .. وداعا .

ومضت في خطى حذيفة إلى (جراج) المطعم ، والغضب يعصف بنفسها، فاستقلت سيارة إلى مركز الشرطة لتسأل عن كوين ..

وفيما كانت ترقى الدرج العريض بإدارة البوليس ، إذا بـ "كاي ناتيلو" و"فريناند بيرفيلد" يلحقان بها فيقول الأخير بصوته الشبيه برنين الأجراس :

- اهلا بك يا عزيزتي ..

بينما لم تقل المرأة شيئا ..

وعاد "بيرفيلد" يقول :

- لقد كنا نسير في الطريق فلمحناك تصعدين الدرج . ولما كنا نريد أن نراك وكنا دائبي البحث عنك ، فقد وجدنا الفرصة سانحة ...

فقاطعته "أفالون" :

- تبحثان عني ؟

وكانت كاي ناتيللو هي التي أجابت بصوتها الشبيه بحشرة المنشار :

- نعم يا "أفالون" .. هيا هيا يا ابنتي !

فقال "فريمانند بيرفيلد" :

- إن لدينا خبرا لك يا عزيزتي ، هو أن (ماجنا مونت) سيقوم الليلة بتصوير مشهد في مقصف (كوكي) وسوف نكون جميعا هناك ، كما أنك ستلقين بعض أغانيك .. فهيا بنا لأن (كوكي) تريد أن تستوثق من أنك ستشتركين في البرنامج قبل التعاقد مع مستر "بفيغر" ؟

- وهل مستر "بفيغر" ... ؟

- "بفيغر" المخرج الكبير يا عزيزتي ... سوف يخرج لكما فيلما رائعا ..

فترددت "أفالون" برهة وهي لا تستقر على رأي معين ، أو تجد ما تقوله ... ولكنها قالت أخيرا :

- حسنا .. سوف الحق بكما بعد قليل . هل أجكما عند كوكي ؟ ..

- ولكنك ستذهبين معنا ... ولا شك أنه ليس لديك ما يهمك في مثل

هذا المكان أو نزلائه من المجرمين .. ماذا جئت تفعلن هنا ؟

- لقد فقت مشبكا ذهبيا وقرطا في إحدى سيارات الأجرة ، فظننت

أنه يمكنني السؤال عنهما هنا .. ولو أنه يخيل إلي أنني لن أجدهما ..

- ربما ... وعلى أية حال فإني قادم معك لمعاونتك في التحدث إلى

هؤلاء المتوحشين ذوي الثياب الزرقاء .. وبعدئذ نذهب معا !

وعندما فتح مستر "جيمس براتر" باب مسكنه للسجين اللذين طرقاه، لم يكن يحسب أنه سيكون لزيارتهما ذلك الأثر الخطير في نفسه وفي كيانه مثل ما وقع له بعد ذلك ... فعندما سالهما عما يريدانه ، أخبراه أنهما من مندوبي مصلحة الضرائب ، أشار بيد مرتعشة إلى الأريكة وأخذت عيناه البارزتان تدوران في محجريهما وهو يقول :

- تفضلا بالجلوس .. هل من خدمة أستطيع اداءها لكما ! .. اهنالك خطا في ضريبة الدخل ؟

ولكن احد الرجلين ظل ينتظر إلى الأرض دون ان يقول شيئا ، على حين ازاح الثاني قبعته إلى الخلف وراح يحديق إلى السقف كان به شيئا يثير عجبه ..

ولم يجلس "براتر" ، إنما ظل يفرك يديه في اضطراب وهو يقلب نظراته بين الرجلين ، في حيرة بالغة .

وأخيرا قال أحدهما في تراخ :

- هل تعرف رجلا يدعى "سام جفريز" ؟

فقطب "براتر" حاجبيه ، وأجاب :

- "جفريز" ؟ .. كلا لا احسبني اعرفه ..

- ولكنه قال إنه جاء إلى هنا لمقابلتك . وكان دقيقا في وصف المكان ..

فازداد تقطيب "براتر" ، وسارع قائلا :

- اوه ! .. نعم .. اظنني عرفت من تعنيه .. أجل لقد كان هنا حقا ..

ما شأنه؟ ..

فرفع الرجل الآخر رأسه ، وقال :

- كيف حال "شنقهاي" الآن ؟ .

فاهتزت أهداب "براتر" سريعا ، على حين استطرد الأول :

- وعلى الأخص رقم ٩٠٣ بشارع "بابلنج رود" ؟ ..

وازداد اهتزاز أهداب "براتر" سرعة ، ولكنه قال :

- لست اعرف عن اي شيء نتحدثان ..
- فلم يزد الرجلان عن التנהد متعجبين بينما اريدف "برائر" :
- كما انني لا اعرف سبب اهتمام مصلحة الضرائب بي !
- فمال اكبر الرجلين إلى الامام قائلا :
- اعتقد أن "سام جفريز" قد احضر لك لفافة ما .. او بضع لفافات؟ ..
- نعم .. لقد احضر لي من "شنغهاي" تمثالا من الخزف يمثل راهبا
- شيخا يحمل سلة ملأى بالسّمك .. وهو تحفة فنية حقا ...
- أين هو ؟
- اوه ! ... لقد اعطيته إلى .. إلى صديقة لي ..
- فزام الرجلان معا ، ثم مضى اكبرهما قائلا :
- واين قابلت "جفريز" هذا ؟
- اه ! .. لست اذكر تماما ..
- فحذجه الرجل بنظرة صارمة ثم قال :
- لقد قابلت "سام جفريز" للمرة الاولى ، وفقا للمعلومات التي لدينا
- في مكان يدعى (مقصف كوكي للبحارة) في ١٨ اغسطس ، وفي تلك
- المقابلة عقدت معه اتفاقاً معيناً قبل ان يرحل الفتى بباخرته .. وفي ٣
- نوفمبر قابلت "سام جفريز" هنا ، واحضر معه "جوهيمان" .. فلماذا ؟ ..
- واي اتفاق عقده مع كليهما ؟ ..
- لو انكما ايها السيدان .. تسمحان بإفهامي ما تسعيان وراءه لكان
- من المستطاع ان اساعدكما .. ولكنكما حتى الآن تتكلمان على غير هدى
- وفي غير معنى ..
- فقال اصغر الرجلين :
- ينبغي ان تجيب على اسئلتنا يا مستر "برائر" وإلا ففي وسعنا ان
- نأخذك معنا إلى المدينة ، ونثير امامك الكثير من المتاعب ..
- ولماذا ؟ إنني لا آهم سر هذه المهزلة بعد ، كما انكما لم توجهها لي
- اتهاما معيناً ..
- ما الذي تعرفه عن رقم ٩٠٣ شارع "بابلنج رود" بشنغهاي .. وما

الذي قلته لـ "سام جفريز" ؟ .. ومن هو الشخص الذي تاتمر بامرہ ؟
وكيف تحسب أنك سوف تنجو من هذه الورطة ؟ . هذه يا صديقي
بضعة اسئلة معينة إذا شئت .

- ولكن .. ولكن .

- فهمت لعل الأفضل إذن أن تأتي معنا يا مستر "برائر" .

فراح "برائر" يجيل نظراته بين الرجلين ، ثم امعن في التفكير ..
وكانما استمد الجراة من فكرة معينة طرأت له ، إذ ما لبث أن قال في
حزم :

- إنني لا أعرف ما تسعيان وراءه .. ولكن أعرف أنني مواطن لي من
الحقوق الدستورية ما يكفل لي أن أرفض ما تطلبانه ما لم توجهها لي
اتهاما معينا بطريقة رسمية .. ولن أضيف شيئا إلى ذلك .. فمع
السلامة ..

فنهض الرجلان متمهلين ، وراحا يحجانه بتظريهما لحظة طويلة ،
قبل أن يقول أكبرهما :

- حسنا .. على رسلك إذن ..

وما كادا ينصرفان حتى أسرع "برائر" بدوره ، فاخطف قبعته
وهرع إلى الطريق حيث استقل سيارة مضى بها إلى عيادة الدكتور
"زلمان" في يارك أفنيو ..

ولم يسر "زلمان" لرؤيته ، وراح يصغي إلى قصته مقطب الاسارير ،
وأخيرا قال :

- وهكذا قنتهما نحوي راسا يا سيد "برائر" ! .. لقد كانت هذه
خطوة غير موفقة منك ..

- إنني لم أقدهما إليك .. فلم يتبعني احد ..

- هل لي أن أسالك كيف عرفت ذلك ؟ .. إنك في حالة من الاضطراب
بحيث إذا تبعك فيل لما فطنت إليه ..

وتناول "زلمان" التليفون ، وأدار قرصه على رقم معين ، ثم ما لبث
أن قال :

- هات النين من رجالك وتعال في الحال ..

فهمهم 'برائر' :

- ما الذي تريد ان تفعله ؟

ولكنه لم يتلق من الطبيب ردا .. فكرر السؤال ملنى وثلاث في فزع ظاهر ، دون ان ينال جوابا ..

واخيرا قال الطبيب في صوت بطيء صارم النبرات :

- إن أحد الشروط الرئيسية لمؤسستنا هذه ، هي ان يعنى كل فرد فيها بنفسه كما تعلم .. ولكنك بحمقك قد وضعت نفسك في مركز شديد الخطر ولذلك غدا من مصلحة المؤسسة ان تحميك ..

- هل تعني انك لن ..

- اقضي عليك ؟ .. معذرة يا عزيزي 'برائر' .. لقد كنت أقول لك إن من الشروط الأساسية لجماعتنا ان نعنى بانفسنا .. كلا .. كلا .. ولكن هلا حدثتني خلال انتظارنا هذا ، عما قلته لرجلي الحكومة بالضبط ..

- لم أقل لهما شيئا ، إنما كان يبدو انهما يعرفان اكثر مما يتوقع ان يعرفاه .. ولما رايت ان اسألتهما قد بلغت حدا خطيرا ، فعلت ما يجب فعله وطردتهما ..

- ما الذي كان يبدو انهما يعرفانه ؟ ..

- لقد ذكرنا 'جفريز و'هيمن' ، وكانا يعلمان ان الفتيتين احضرا لي شيئا من شنغهاي ، وسألاني عما اعرفه عن رقم ٩٠٣ شارع ، 'بابلنج رود' ..

- وقد انكرت ذلك بالتأكيد ..

- بالتأكيد .. ولكن كيف عرفا كل ذلك ؟ ..

- من يدري ؟ .. إن البحارة إذا امتلأت جيوبهم بالمال يشربون حتى الغياب عن الوعي ، ويثرثرون كثيرا .. ومن سوء الحظ ان 'جفريز' و'هيمن' ما كانا يستطيعان الثرثرة إلا عنك وحدك .. ولكنك لن تفشي السر قط ..

فازدرد 'برائر' لعابه وغمغم :

- بلا ريب .. وإنني أعرف ما سألقيه من متاعب ، ولكن إذا لم تتخل عني ...

وساد الصمت برهة .. وكان يبدو أن الدكتور "زلمان" قد قال كل ما يريد قوله، وأن "جيمس براثر" كان يخشى أن يقول شيئا آخر .. وأخيرا جاءت السكرتيرة الشقراء لتقول إن مستر "كاربنتر" واثنين من أصدقائه يريدون مقابلة الطبيب ، فامرها بإدخالهم على الفور .. وقيم الطبيب القادمين إلى "براثر" ، ثم قال له "كاربنتر" :

- إن مستر "براثر" لسوء الحظ قد استرعى أنظار بعض الفضوليين، بحيث غدا لزاما علينا أن نضعه في مأمن من الخطر الذي يهدده من رجال الأمن .. وانت تعرف ما ينبغي صنعه ..
فنهض "براثر" قائلا :

- لست أنري كيف أشكر لك هذه العناية يا دكتور "زلمان" ..

فلوح الطبيب بيده في تواضع وهو يقول :

- هراء .. إنني أؤدي ما يجب لك من حق علينا ..

وكان "براثر" يثني أصابعه في توتر بينما كانت السيارة السوداء الطويلة تخرج بهم في شوارع نيويورك أكثر من الساعة حتى خلفت المدينة وراءها وراحت تسير في الطرق الزراعية .. وكان يجلس في المقعد الخلفي بين زميلي مستر "كاربنتر" بينما كان هذا يقود السيارة في براعة إلى الهدف المجهول الذي يقصدونه ..

فلما مشت بهم السيارة ساعة أخرى ، انحرف بها "كاربنتر" إلى ممر جانبي ضيق قطع فيه زهاء ثمانمائة متر ، ثم أوقف السيارة ونزل منها وهو يقول :

- هيا بنا ..

فتبعه "براثر" في قلق خفي ، وسار معه بجانب سياج من الأسلاك الشائكة إلى بقعة أينعت بالخضرة الفيحاء ، وازدهرت بأشجار التفاح .. ولكنه لم ير اثرا لبית أو مزرعة . فوقف مكانه وقال في صوت متهدج :

- إلى أين تأخذني ؟ ..

فتحول "كاربنتر" ليوأجهه ، وهو يقول :

- سوف تبقى هنا ..

وفي مثل وميض البرق ، استل مسدسا من جيبه ، وسدده إلى قلب "برائر" .. ولعل الطلقة الأولى كانت كافية ، لولا أن السيد "كاربنتر" ، وهو رجل ذو ضمير ، اتبعها بأخرى حتى يستوثق من موت ضحيته سريعا ..

- ٨ -

تسلل "لوبين" من السلم الخلفي للفندق متسريلا بالظلام والخفاء ، ومرتديا ثيابا بالية لبحار قديم العهد بالبحار ، وقد قوس كتفيه قليلا حتى يبدو متوسط القامة وليس فارغ العود كعهده .. وكان تنكره بارعا فالشمس تلوح بشرفته ، وتضفي لونا أحمر على شعره وشاربه والشعيرات النامية من لحيته ، بحيث لم يكن في وسع أحد حتى اخص معارفه أن يتبين فيه "أرسين لوبين" الذي يعرفه ويألفه .. وخرج من الفندق دون أن يراه أحد .. فمضى رأسا إلى مقصف البحارة الذي تديره "كوكي" ، حيث راحت حارسة الباب البدينة ذات الشعر المصبوغ تفحص أوراق شخصيته في إمعان شديد ، قبل أن تمنحه ابتسامة عريضة بدت خلالها أسنانها الذهبية ، وهي تقول :

- يسرنا أن نراك معنا يا مستر "سيمونز" .. فتفضل بالدخول واعتبر نفسك في منزلك ..

وتفضل "أرسين لوبين" بالدخول .. فوجد نفسه في قاعة رحبة ملأى بالموائد الخشبية والمقاعد التي أبلاها طول الاستعمال ، وفي ركن منها معزف قديم ، وقد زينت جدرانها بنقوش ورسوم يدوية لنساء عاريات ، وبقرب المدخل منضدة طويلة عليها بعض الصحف والمجلات الشعبية .. وكان في نهاية المقاعد مقصف طويل وقف خلفه رجلان في ثياب خفيفة ، يوزعان الشطائر والحلوى وزجاجات من شراب مرطب خال من الكحول ..

وكانت القاعة مكتظة برجال من أعمار مختلفة ، يرتدي أكثرهم ثيابا مدنية بينما الباقون في زي البحارة المعروف ، وقد انهمك بعضهم في لعب الورق أو النرد ، على حين كان البعض يرقصون مع فتيات خصصتهن "كوكي" للترفيه عن ضيوفها . وهن فتيات جميلات في مقتبل العمر ، يرتدين مراكيل بيضاء رصعت بنجوم زرقاء وبينها - في وشي جميل - كلمتا "مقصف كوكي" .. وفي الوقت نفسه كان لفيف من الخدم الرجال يروحون ويغدون بين الموائد لجمع الزجاجات الفارغة والصحاف المستعملة ..

فلما دخل "كوبين" ، سار نحو المقصف وتناول زجاجته وصحفه وشطائره ، وتحول نحو القاعة مخترقا الزحام وسط سحابة كثيفة من دخان السجائر تعلقت تحت السقف المنخفض ، وهو يفكر في خطوته التالية وما ينبغي أن تكون ..

ووقفت أمامه إحدى الفتيات المضيفات قائلة في مرح :

- هالو ! هل أخذت كل ما تريده ؟ ..

- نعم .. شكرا أيتها الأنسة ..

- آه ! .. لا ريب أنك إنجليزي ؟ ..

- تماما أيتها الأنسة ! .. من " أولد جيت " .. ولكن كيف حبست ؟ ..

- لقد اعتدت التمييز بين اللهجات المختلفة .. أهذه أول زيارة لك ؟ ..

- نعم أيتها الأنسة ..

- ومتى جئت إلى نيويورك ؟ ..

- في الليلة الماضية فقط .

- حسنا .. إنك لم تضع وقتا طويلا قبل الاهتداء إلينا .. ألك

اصدقاء هنا ؟ ..

- كلا أيتها الأنسة ! ..

وكان "كوبين" ينطق بهذه الكلمات عندما وقع نظره على وجه يعرفه ، كان صاحبه يجلس بمفرده ، بعد أن انصرف زميلان له للتو .. وكان الرجل ينفخ مقعده ويتلفت حواليه عندما راه "كوبين" ، فقال للفاتة

مستدركا :

- يا إلهي ! .. هذا صديق أعرفه .. معذرة أيتها الأنسة واندفع وسط الزحام ، حتى بلغ مائدة ذلك الرجل فوضع زجاجته فوقها وهو يقول :
- مرحى أيها الزميل ! .. إنني واثق أنني أعرفك .. اليس اسمك "باتريك هوجان" ؟ ..

فنظر إليه الآخر بوجه ممثلى لا يزال كوبين ينكر حمرة الخجل التي كانت تعلوه عندما قدمته "كوكي" إلى جمهورها في الليلة الأولى لزيارة كوبين للملهى .. وقال :

- بلى يقينا يا أخي ! .. "هوجان" هو اسمي .. فما اسمك انت ؟ ..
- "توم سيمونز" .

- لست أذكره .. ولكن لا تبال بذلك .. أين التقينا من قبل ؟ ..
- ربما كان ذلك في "مورمانسك" ، في أثناء الحرب ؟ ..

- لا ريب في ذلك . فقد قضيت بها أسبوعين في رحلتين متواليتين .. وكان صوت "هوجان" مرتجفا ، ورائحة الشراب تفوح من فمه مما يغم عن أنه شرب كثيرا قبل أن يحضر إلى المقصف .. ونظر كوبين خواليه وهو يقول :

- يا له من مكان ظريف !

- ليس ثمة أفضل منه في (نيويورك) كلها يا "توم" .. كما أن "كوكي" نفسها .. يا لله ! إنها ملكة ! . وهي تغني تلك الأغاني الجميلة التي تجعل أباك نفسه يحمر وجهه خجلا ! ..

- يا إلهي ! أهى كذلك ؟ ..

- يقينا إنها كذلك .. ألم تسمعها من قبل ؟ ..

- نعم لم أسمعها .. هل ستحضر الليلة ؟ ..

- بلا ريب .. سوف تحضر من بقيقة لأخرى ، ولهذا جئت إلى هنا ..

ولولا ذلك لفضلت كاسا من الشراب وفتاة اقضي السهرة معها ..

ثم مال قليلا نحو كوبين ، وقال وهو يغمز بعينه :

- ولكن "كوكي" تستطيع أن تدبر لك ذلك أيضا إذا كنت صديقا لها ! ..

فلحق "لوبين" شفتيه ، وهتف في لهفة :

- يا لله ! .. وهل أنت صديق لها ؟ ..

- يقينا إنني صديقها ! .. لماذا ؟ .. لقد أختنتي ليلة السبت الماضي مع صديق لي إلى ذلك النادي العظيم الذي تملكه ، وقدمت إلينا أوفر قسط من الشراب يمكننا احتماله ، فقضينا وقتا ممتعا كأننا لوردان عظيمان حتى مطلع الفجر وقد قالت إننا نستطيع ان نعيد الكرة كلما أردنا ذلك .. وما بمت صديقي يا "توم" ، فسوف تعاملك بالمثل ..

- يا إله السموات ! .. هل أنت واثق من ذلك ؟ ..

- يقينا يا صديقي ! .. ولو اني اعجب كيف يتلف كهل مثلك على هذه الامور!

- إنني لست من الكهولة بحيث ازهد فيها ..

وفي تلك اللحظة انحنى شبح فوق المائدة وراح يمسحها بمنشفة ملونة وكانت اليد التي امتدت بها صاحبة اللون طويلة الاصابع ، لاحظ "لوبين" ان اظفارها قد صقلت بطلاء بنفسجي اللون .. فلم يجرؤ على الاعتقاد بان شيئا كهذا يمكن ان يكون حقيقيا ، وراح يرفع عينيه في حذر حتى استقرتا على ذلك الوجه النحيل والشعر الذهبي ..

نعم ، لقد كان ذلك "فريبناند بيرفيلد" حقا ..

ونظر مستر "بيرفيلد" إلى "لوبين" في إمعان ، ولكن لم تبد عليه لمحة تنم عن انه عرف حقيقته .. وما لبث ان حول نظراته إلى "هوجان" ثم قال :

- ائمة ما تشكوان منه يا صديقي ؟ ..

فشكره "هوجان" ، وعندئذ حياهما "بيرفيلد" بابتسامة وانصرف ..

وما كادت تمضي لحظة حتى تبذلت اسارير "هوجان" ، وصاح في ابتهاج :

- ها هي ذي يا "توم" ! .. ها هي ذي "كوكي" ! ..

وكانت الانوار قد بدأت تخفت في القاعة عندما قال ذلك ، فببت "كوكي" للعيان وهي تتقدم نحو الضوء الوحيد الذي ظل ساطعا على

منصة صغيرة بجوار المعزف .

وكانت على محياها تلك الابتسامة التقليدية التي تقابل بها زبائننا.. وانتثنت تحيي الحاضرين وترد على هتافهم بتحريك يدها وخصرها، ثم بدأت ترتل اغانيها المعهودة ، واحدة بعد الأخرى ، وهي أغان وقحة مبتذلة يندى لها الجبين خجلا ، والحضور لا يكفون عن الصياح والهتاف في حماسة منقطعة النظير ، حتى بج صوتها وتورد وجهها من فرط المجهود الذي تبذله ، وتصيب العرق منه غزيرا .. وفي خلال ذلك كان "لوبيـن" لا يكف عن الهتاف والاستحسان والتصفيق حتى يجيد الدور الذي يؤديه أمام "هوجان" ..

وأخيرا كفت "كوكي" عن الغناء ، وهي تلهث من فرط التعب والجهد الذي بذلته ، واتجهت إلى الحاضرين قائلة :

- هذا كل شيء الليلة يا أبنائي .. فإلى اللقاء غدا ..

وهبطت من فوق المنصة فاستقبلتها الأيدي بالمصافحة والقلوب في حماسة بالغة .. ونهض "باتريك هوجان" وهو يدفع المائدة امامه ويصيح بصوت مدو :

- هالو .. "كوكي" ! ..

كانت سترته قد ارتفعت قليلا عند وقوفه ، فرأى "لوبيـن" في جيب سرواله الخلفي مسدسا آليا ، من طراز لا يحمله البحارة قط ..

واشعل "لوبيـن" لفاقة ، وهو يفكر في هذا الاكتشاف الجديد ، ويحاول ان يفهم حقيقة "باتريك هوجان" وموقفه في هذه المغامرة كلها ..

* * *

جلست "كوكي" معهما فقدم "هوجان" إليها "لوبيـن" قائلا :

- ها هو ذا صديقي "توم سيمونز" ، وهو بحار كهل وزميل قديم ، شربنا معا في (مورمانسك) .

فحيته "كوكي" ، وسالها عن حالها فاجابت :

- إنني متعبة جدا .. ولا تزال امامي بعد ذلك حفلتان في الملهى الخاص بي ..

- لقد استمتعت كثيرا بغذائك يا سيدتي ..
- اهذه اول مرة تسمعي فيها ؟ ..
- نعم يا سيدتي ..
- نادني 'كوكي' فقط .. فالكل يفعلون ذلك ..
- نعم يا سيدتي ! ..
- فقهقه 'هوجان' في مرح ، وقال :
- اراهنك انها لن تكون الأخيرة ..
- وعادت 'كوكي' تسال 'لويين' :
- وهل ستبقى طويلا في نيويورك ؟ ..
- كلا سنبحر يوم الثلاثاء عند العشاء .. وهي اوامر الريان . مع
- اثننا لم نلق المرساة إلا أمس فقط .. اليس ذلك امرا سخيفا ؟ ..
- إنه كذلك حتما .. وإلى اية جهة تقصد باخرك بعد ذلك ؟ ..
- سنجتاز قناة (بنما) إلى (شنغهاي) راسا ، ثم نعود إلى 'سان
- فرانسيسكو' ..
- فقاطعه 'هوجان' قائلا :
- ماذا تريد يا 'كوكي' في جرعة من الشراب الجيد تقديمها
- لصديقين قديمين مثلنا جف حلقاهما من الهتاف لك ؟ ..
- فنفلت 'كوكي' دخان سيجارتها ثم نفضت رمانها فوق المائدة وهي
- تعاود النظر إلى 'لويين' في نظرة لا تنم عن شيء ولكنه ادرك انها تفكر
- في امره .. واخيرا قالت :
- ربما استطعت أن اجد شيئا من اجلكما ..
- ونهضت من مجلسها فتبعها 'هوجان' و'لويين' ، على حين قال الاول
- مفاخرا :
- ألم اقل لك يا 'توم' ؟ ..
- فغمغم 'لويين' في احترام :
- إنك رجل عظيم يا 'بات' ..
- ومضيا وراءها من باب صغير خلف المقصف أدى بهما إلى المطبخ

.. وكان خاليا إلا من مائدة كبيرة رصت فوقها أرغفة الخبز وشرائح الجبن وبعض اللحم المقدد .. وكان في ركن منه كومة من الصنابير الفارغة ..

وقالتها 'كوكي' إلى حجرة أخرى داخل المطبخ ، كانت بالغة الضيق ، لا تكاد تتسع إلا للمقعدين ومنضدة الكتابة التي كانت كل اثائها .. وكانت 'كاي' ناتيلو تجلس أمام المنضدة وهي تكتب على آلة كتابة قديمة ، باصابع كانها مخالب الدب .

فهتف 'هوجان' في غير كلفة :

- هالو 'كاي' ! .. كيف حال حبيبتي الليلة ؟ ! ..

بينما قالت لها 'كوكي' :

- لقد حضرنا لشرب كاسا ، فهلا تكرمت بإحضار بعض الأقداح ؟ ..

فمضت 'كاي' إلى المطبخ ، وعانت تحمل أربعة أقداح فارغة ، على حين أخرجت 'كوكي' من درج المنضدة زجاجة من الشراب ملأى حتى نصفها .. ثم قالت لـ 'كاي' :

- هذا 'توم سيمونز' يا 'كاي' .. وقد رست بأخرفته أمس فقط

وستبحر ثانية يوم الثلاثاء .

- وا أسفاه !!

- إننا جميعا ينبغي أن نعمل أيتها الأنسة .. ثم إن العمل في البحر

لذيذ ومسل ، ما لم تغرق بنا السفينة ..

وملأت 'كوكي' الأقداح فشربوا جميعا ، على حين سألت 'كاي' :

- وهل ستبحر قريبا بالمثل يا 'بات' ؟ ..

- في الأسبوع القادم .. سنذهب إلى جنوب إفريقيا والهند

وسنغافورة ثم نعود ثانية من الطريق نفسها ..

- سوف نشعر بالفراغ الذي ستخلفه بيننا .. وانت يا 'توم' .. هل

انت عائد إلى إنجلترا ؟ ..

- أوه .. لا . بل إلى 'شنغهاي' من قناة (بينما) .. ثم نعود إلى سان

فرانسيسكو ..

وملات 'كوكي' كأسها ثانية وجرعتها دفعة واحدة ، ثم نهضت قائلة :

- ينبغي أن أترككم الآن للذهاب إلى الملهى ..
ومضت نحو الباب ، ولكنها توقفت كأنما نسيت شيئا واستدارت قائلة :

- لماذا لا تحضران إلى (القبو) بعد أن تفرغا من هنا !
فربت 'جوهان' على ظهرها وهو يهتف :
- مرحى ! لقد كنا سنفعل ذلك حتما ، وسنذهب للهتاف لك هناك ،
اليس كذلك يا 'توم' ؟
'ساح كوين' يقلده :
! سنفعل يا 'بات' ! .. إننا لم نشبع من غنائها بعد ..
ت 'كوكي' :

- حسنا .. سوف انتظركما .. وعليك يا 'كاي' أن تعتني بهما
وتحضرهما معك .

واستجمعت شتات جسمها ، ثم غارت الحجرة بسرعة وعملت
'كاي' بنصيحتها فعنيت بهما ..

ولكن 'كوين' لم يدع نفسه فريسة لهذه العناية البالغة التي
انحصرت . بعد فراغ زجاجة الشراب ، في المرور على عدة حانات في
الطريق ، واحتساء كاس أو اثنتين في كل منها ..

وكان 'هوجان' يزداد ثملا كلما ازداد شرابا ، وراح يغازل 'كاي'
ويقول إنها فتاته ، وإن فتاة الرجل الأيرلندي هي قلعة .. وكان 'كوين'
يتظاهر بالخمل ولكنه كان ينتهز الفرصة ليريق الشراب في أقرب ركن
منه ، أو تحت الموائد .. أما 'كاي' فلم يكن يبدو عليها أي أثر للشراب
الذي تناولته ، وكانت تستجيب لمغازلة 'هوجان' لها كلما تذكرت أن من
واجبها أن تفعل ذلك .

وبذلك استغرق نهابهم إلى قبو 'كوكي' زمنا طويلا .. ولكنهم وصلوا
إليه على أية حال .. وكان كل شيء كعهد 'كوين' به منذ ليلتين ، ولكنه

كان الليلة من الأبطال الذين يستقر فوقهم النور الكشاف وتحببهم الجماهير .

وكانت "كوكي" تجار باغنية بنينة لم يسمعا "لوبيين" من قبل فقالت له كاي" مفاخرة :

- إنها من تاليفي !

فقال "لوبيين" في احترام وإعجاب :

- ما شاء الله ! .. سلمت يدك !

وقد قلنا إن كل شيء كان كعهد "لوبيين" به في الليلتين الماضيتين ، على غير ما كان يتوقع .. فقد كانت "أفالون بكستر" هناك أيضا .

ولكنها لم تكن قد جاءت لتعمل ، بل جلست كأحد المتفرجين ، إلى مائدة في مؤخر القاعة .. وكان يحس بشعور غريب لجلوسه هكذا رقيقا عليها ، دون أن يجول بخاطرهما قط أنه هناك ، وعلى الرغم من أن نظراتها العابرة كانت تمر به دون وعي .

وما إن فرغت "كوكي" من أغنياتها حتى مضت وسط هتاف المعجبين ، إلى منضدة المقصف حيث كان الساقى قد أعد لها قنحا كبيرا من الشراب جرعته سريعا ، وعانت إلى ماثلتها ؟

وكان معها وقتئذ الدكتور "زلمان" .

وبعد أن أتمت التعارف بين الجميع ، قالت للطبيب :

- إن "توم" سيرحل إلى شنغهاي يوم الثلاثاء ..

وكان "لوبيين" يتظاهر بالثمل ، فاضطجع في مقعده ، ويصق بعض الشراب ثم قال في ثقاقل :

- وسوف أرى إن كان ما يقال عن الصين وسحرها صحيحا ..

فقال له "زلمان" في هدوء ، بعد أن تبادل نظرة خفية مع "كوكي" ، لم تفت "لوبيين" :

- في وسعي أن أرشدك إلى بعض الأماكن لتذهب إليها لقد قضيت في (شنغهاي) وقتا طيبا قبل الحرب .

وكانت نظراته إلى "لوبيين" متفرسة في إمعان شديد ، ولكنه كان

يكسوها بلمحة من العطف والشفقة .. وما لبث "زلمان" أن تناول كاسه والتفت إلى "كوكي" قائلاً :

- على فكرة .. لست أدرك لماذا لا تدعين مستر "هوجان" ومستر "سيمونز" لقضاء بعض الوقت في "لونج أيلاند" ؟ إنهما يستحقان من العناية والرعاية أكثر مما يستطيع أن أقدمه لهما هنا .
فهمت كوكي :

- يا له من رأي عظيم ! .. فماذا تقولان أيها العزيزان ؟ إن لي كوخاً صيفياً على شاطئ الاستحمام في (سوذا مبتون) في ضواحي (نيويورك) .. ثم إننا لا نفتح هذا الملهى في أيام الأحاد عادة ، لذلك أرى أن تأتيا معنا لنسبح في المحيط ثم أعود بكما صباح يوم الاثنين ، دون أن نتكبدنا سنناً واحداً . سوف نذهب جميعاً في سيارة الدكتور "زلمان" وسيارتي فور انتهاء العمل الليلة ، وسوف أهيب لكما صحبة طيبة لمرافقتكما .. فستكون "أفالون بكستر" معنا .

- ٩ -

وغمغم "لوبيين" برغبته في الخروج لحظة ليقابل رجلاً كان على موعد معه لشراء كلب منه ، ثم غادر الملهى إلى كشك قريب للتليفون فاتصل بالفندق وسأل عن "أفالون" ، فقيل له إنها ليست موجودة وقتئذ وسأله عامل التليفون عما إذا كان يريد أن يترك رسالة لها .. فسأله "لوبيين" عن موعد عودتها فأجاب :

- لست أدري يا سيدي .. ولكنها تتصل بنا كل نصف الساعة في انتظار رسالة لها .. فهل انت مستر "لوبيين" ؟

فحبس "لوبيين" أنفاسه لحظة ، ثم استقر رأيه على شيء فقال :

- نعم ..

- لقد كانت تسأل عنك يا سيدي .. فهل يمكنها أن تتصل بك ؟ ..

- أخشى أن يكون ذلك متعذراً الليلة .. ولكن أخبرها أنني ساقابلها غداً .

فلما عاد إلى الملهى ، وجد أنهم اتفقوا على كل شيء من تفاصيل

الرحلة ، وكانوا في انتظار عودته لياخذهم "زلمان" في سيارته الكبيرة... وقالت "كوكي" :

- أما انا فسأبقى حتى يغلق الملهى .. كما ان "افالون" قد تحتاج إلى إحضار بعض لوازمها وسوف أحضرها معي .

فادرك كوبين" ان "افالون" لا تعلم بأن "زلمان" سوف يكون من أعضاء هذه الرحلة .. وتحقق من ذلك عندما كانوا يهتمون بالانصراف ، إذ مرت بهم في تلك اللحظة عائدة من حجرة الزينة وكانت عيناها شاردتين ، وفي أساريها مسحة من الكابة والوجوم ..

فتوقف "زلمان" ، وقال لها في تودد :

- طاب مساؤك يا "افالون" ؟

فربت الفتاة تحيته في اقتضاب دون أن تدع له فرصة التحدث إليها إذ مضت في طريقها لا تلوي على شيء .. على حين ظل الدكتور "زلمان" يتبعها بنظراته وقد جمدت أساريه حتى غدا كتمثال من الرخام .

* * *

فلما فتح عينيهِ ثانية ، كانت الأنوار الكاشفة للسيارة لا تزال تخترق الظلام .. فاشعل لفاة . وعندئذ قال "زلمان" :

- لقد اقتربنا من وجهتنا ..

ولم تمض برهة حتى بدت للعيان منازل "سوثامبتون" الصغيرة ، وقد هجعت في سكون الليل .

وبعد قليل استقرت بهم السيارة أمام أحد الأكواخ المتناثرة على الشاطئ .. ولكنه لم يكن كوخا صغيرا كما دعت "كوكي" في تواضع ، وإنما كان منزلا متوسط الحجم ذا طابقين ، فتحه "زلمان" بمفتاح معه وإضاء النور ، فولجوا إلى بهو متوسط السعة في أحد أركانه برج خشبي يؤدي إلى الطابق الأعلى .. ومضوا بعدئذ إلى قاعة استقبال فسيحة لا تقل في السعة عن (قبو كوكي) نفسه ، ذات نوافذ واسعة منخفضة على الطراز الفرنسي تطل على البحر ، وأرائك وثيرة كبيرة

وأزاح "زلمان" مراتين كبيرتين عن أحد الجدران ، فانزلقتا بداخله ، وكشفنا عن (بار) أنيق ذي ثلاثة مقاعد عالية ، ورف رصت فوقه زجاجات من الشراب مختلفة الأنواع .. فدخل "زلمان" خلف المنضدة وهو يقول :

- ماذا تقولون في كأس من الشراب ؟

فصاح "هوجان" :

- يقينا يا دكتور ! .. لا ريب أن هذا ما كنت تحاول النطق به عندما

كنت نائما احلم بقناة السويس في أثناء مجيئنا

وعندئذ قالت "كاي" :

- سوف اذهب لاحضر لكما بعض قطع من اللج .

قال "هوجان" :

- وسأذهب معك لمساعدتك .

وخربجا معا ، بينما جلس "لوبين" على أحد المقاعد امام المقصف ، واستند مرفقه إلى المنضدة وهو يرفع قبعته الرثة إلى الورا .. ووضع "زلمان" بعض الاكواب امامه ، ثم انتقى زجاجة من الشراب المعتق وراح يصبه فيها .. وما لبث أن قال في بساطة :

- هل أنت مع "باتريك" في نفس السفينة ؟

- كلا .. لقد تقابلنا في "مورمانسك" .

- بالتأكيد .. كان ينبغي أن اذكر ذلك .. وهو ذاهب إلى (سنغافورة)

وانت إلى (شنغهاي) ..

- تماما يا سيدي ..

- هل تعرف "باتريك" منذ مدة طويلة ؟

- منذ الحرب الماضية فقط .. وكان ذلك في (مورمانسك) .

- ولم تره حتى التقيتما في مقصف "كوكي" الليلة ؟

- بالضبط .. وقد قلت له إنني رأيته من قبل .. فقال لي إنه راني من

قبل .. و..

ومضى "لوبين" على هذا النحو من الأقوال التي يبدو فيها اشتداد

التمل به ..

بينما كان "زلمان" منهمكا في إعداد الشراب .

وعاد "باتريك" و"كاي" ناتيلو' بعد قليل يحملان الخلع ، فمضت ساعة او نحوها و"لوبيين" يثرثر مع الدكتور "زلمان" على حين جلس "باتريك" و"كاي" على الأريكة الأولى يغني بصوته الأجش أغنية (هل جاءت والبتك من أيرلندا ؟) بينما استندت المرأة رأسها إلى كتفه ومضت ترشف قطرات من كأسها حتى لا تملأ ثانية . وقد ارتسمت في محياها سمة شريرة لا تناسب المجال ..

وما إن مضت ساعة حتى وقفت سيارة امام الباب ، ثم سمع وقع اقدام ودخلت "كوكي" تتبعها "آفالون" دكستر' ، ثم "فريديناند بيرفيلد" .. ولكن "لوبيين" لم يبال حتى بالنظر إليه ، وركز نظراته على "آفالون" .

والقت الفتاة نظرة سريعة على الحاضرين ، فلما رأت "زلمان" بدا عليها الوجوم والضيق لحظة خاطفة بحيث لم يلحظ أحد هذه الحالة سوى "لوبيين" الذي كان يتفرس فيها مترقبا ما يبدو في أساريرها عند رؤية "زلمان" ، حتى يتبين إن كان وجوده مفاجأة لها حقا .

ولوحت "آفالون" بيدها محيية ، ثم ألقت بنفسها على الأريكة بجوار "باتريك هوجان" و"كاي" ناتيلو' وراحت تثرثر مع "هوجان" عن النوادي الليلية والأغاني.

وملا "زلمان" قهجين أحدهما لـ "كوكي" ثم مضى بالآخر نحو "آفالون" فقدمه إليها وجلس على مسند الأريكة بجوارها وهو يقول في تودد :
- أما وقد اجتمعنا كضيوف هنا فهلا تركنا الخصام وتصافينا ؟
فنظرت إليه "آفالون" قائلة في صوت خافت :

- لقد دفعت إلى الحضور دفعا . ومع ذلك فسوف ادع خصامك واصفح عنك إذا ابتعدت عن نراعي ..

ثم استدارت لتستأنف حديثها مع "هوجان" عن الأغاني . وكان "لوبيين" قد سمع ما قالته للطبيب إذ كان قد أرفف سمعه لحديثهما ، وعندئذ مضى إلى ما وراء منضدة البار وملا لنفسه قدحا كبيرا من

الشراب المعتق .

فلما نظر نحو "زلمان" ثانية وجده واقفا مع "كوكي" وعلى فمه تلك
الابتسامة الخالدة .. على حين كان "باتريك" يبين لـ "افالون" كيف تغني
أغنية (عندما تبتسم العيون الإيرلندية) وكان "زلمان" يقول :
- إن الغد موعد مناسب تماما .

فاجابته "كوكي" :

- بل لا يزال امامنا متسع من الوقت .

ثم سارا معا نحو (البار) .. وفي الوقت نفسه كان مستر "بيرفيلد"
يتسكع في الحجرة وقد بدا عليه الامتعاض لان أحدا لم يبد اي تقدير
نحوه او يحتفي به ، ولأنه كان يحس نفورا واشمئزازا حيال "هوجان"
و"لوبين" :

وكان يرمقهما في ازراء ..

وعاد الدكتور "زلمان" خلف البار ، فاتكا عليه ، وبدا يقول لـ
"لوبين" :

- إنني يا مستر "سيمونز" ، في دراستي المختلفة للنفس البشرية ،
لم أجد شيئا يسحرني ويملك علي حواسي مثل نفسية البحارة
والملاحين .. ولا ريب أنك سمعت ما يقال عنهم وعن (فتاة كل ميناء) و
وماذا نفعل بالملاح (الثلث ؟) وغير ذلك من الأقوال التي ترمز إلى
تفسياتهم المرحية وتركهم لنفوسهم على سجيتهما وكل ذلك بسبب
إقامتهم في البحر ذلك الذي كان يغطي سطح الأرض كلها يوما من الأيام
والذي خرج منه أجدادنا الأولون ليزحفوا على اليابسة وينشئوا
الحياة البدائية الأولى التي نعمل نحن على توسيعها وتكبيرها .

وكان "لوبين" يرمقه في إعجاب وتقدير وقد بدت عليه علائم عدم فهم
ما يقول ، بينما كانت "كوكي" تصب لنفسها كأسا أخرى وتقول لـ
"بيرفيلد" :

- بالله عليك لا تفسد علينا متعتنا الليلة يا "فردى" وتناول بعض
الشراب ثم امضى لقرى هل أعددت الأسرة للضيوف ؟ .

وكان "زلمان" قد استأنف حديثه مع "لوبين"، فقال :
 - ولناخذ حالتك مثلا يا "توم" .. فعندما تصل إلى "شنغهاي" ..
 ولكنه قطع حديثه إذ انبعثت ضجة عالية نشأت من سقوط قدحين
 وبعض الصحف على الأرض وتحطيمها عندما دفع "هوجان" الخوان
 الذي كان أمامه وهو يهم بالوقوف قائلا في صوت عال :
 - إنني أريد الذهاب إلى دورة المياه ..
 قالت "كاي" كأنما تلقي برسا محفوظا :
 - الباب الثاني إلى اليمين في البهو .
 ولكن "هوجان" عاد يصيح وكأنه يتحدى العالم بأسره :
 - إنني منذ ولدت أعلم أن دورة مياه البحار هي البحر .. وما كان
 يفعله "نلسن" سوف افعله أنا .
 واستدار نحو النافذة العريضة المنخفضة فجنب ستارها وراح
 يفاضل في سبيل فتح مصراعها .. فتقدم "بيرفيلد" لمساعدته ، ثم هبط
 إلى الحديقة وراءه واستأنف "زلمان" حديثه لـ "لوبين" فقال :
 - فعندما تذهب إلى (شنغهاي) ، سيكون همك أن تشرب حتى تمل ،
 وأن تجد فتاة تسمر معها .. هل ذهبت إلى (شنغهاي) قبل ذلك ؟ ..
 - كلا .. إنها سوف تكون المرة الأولى .. ولا تنس أنك وعدتني
 بإرشادي إلى بعض العناوين ..
 - لم انس ذلك .. ولوانني أخشى أن يكون معظمها قد تغير منذ
 الحرب .. ولكنني سوف أجعلك تتصل بصديق لي سيتولى العناية
 بأمرك .. وإنني أعلم أنك سوف تجده ، إذ جاعتي أخبار منه أخيرا ..
 - وهل يعرف جميع العناوين هناك ؟ .. أعني الأماكن المسلية ؟ ..
 - إنه يعرفها جميعا .. وهو رجل ظريف اعتاد أن يبعث إلي ببعض
 التحف الفنية لمجموعتي .. والواقع إنه ربما أمكنك أن تحضر إلي
 بعضا منها معك عند عودتك ، فقد كتب لي أن لديه أشياء كثيرة من
 أجلي لو أتحت له وسيلة إرسالها...
 وتناول "لوبين" كأسا أخرى بينما كان يتدبر الأمر ويفكر فيما ينبغي

أن يقوله أو يفعله .. وأخيرا قال :

- ولماذا لا يرسلها إليك بالبريد ؟

- ربما بدا لك الأمر سخيفا ولكن الواقع انه لا تزال القيود شديدة على استيراد العاديات ..

فغمز 'لويين' بعينه ، وقال :

- إذن فهو تهريب محمود الأثر ؟ .. حسنا يا رئيسي .. إن 'توم سيمونز' رجلك الذي تستطيع الاعتماد عليه .. ولتسقط اللعنة على الجمارك ، كما كنت أقول دائما ..

وراح 'زلمان' يتامله في إمعان قبل أن يفتح فمه ويهم باستئناف الحديث ..

ولكن لم يتسع له الوقت لذلك إذ انبعثت ضجة عالية من ناحية النافذة ، وانفرج الستار عن 'فرديناند بيرفيلد' وهو يخطو إلى الحجرة وقد تمزقت سترته وقميصه ، وراح يصيح كطفل صغير يشكو لأمه ، وهو يقول - 'كوكي' :

- 'كوكي' إن ذلك الرجل الفظيع كاد يقتلني .. لقد مزق لي ثيابي ..

وتلا ذلك دخول 'باتريك هوجان' ، قبل أن يستطيع أحد أن يقول شيئا . وكان يزار قائلا في مرج :

- يقينا لقد كنت انتظر هذه الفرصة ..

ومضى نحو البار ، فوضع يده اليسرى على منكب 'لويين' وأداره قليلا وهو يستطرد :

- وانت يا 'توم' يا بني . إنك لست بصديقي إذا سمحت له بالخروج ورأني .. وإذا كنت تعد ذلك دعابة منك فهك جزاؤك ..

وقبل أن يترك 'لويين' ما يتهدده ، رفع 'هوجان' قبضة يده اليمنى وهوى بها في لكمة عنيفة أصابت فكه ، فسقط عن مقعده ، وتراعت أمام ناظريه أضواء ملونة ساطعة ، تلاها ظلام دامس إذ غاب عن الوعي ..

افاق "لويين" من سباته تدريجيا وهو يبذل جهدا خارقا كأنما ينتشل عقله وحواسه من هوة عميقة القرار .. وعلى الرغم من أنه كان يعرف أنه قد صرع بضربة قاضية إلا أنه كان لديه الكثير من الأشياء التي ينبغي أن يستجمع حواسه تماما قبل أن يتذكرها ..

ولم يفتح عينيه للتو إذ أحس بالمد يد بين صدغيه جعله يقطب حاجبيه ويسكن مكانه بلا حراك .. ومن عجب أنه فقد الشعور كثيرا من قبل ، ولكن لم يسبق له أن خر صريعا وغاب عن الوعي من لكمة باليد المجردة ، وإنما عندما كان يصاب من آلات صلبة بأيدي أعدائه .. ومهما يكن من أمر فلم تكن غشيته لتطول ولم تكن إفاقته ليصحبها هذا الصداع العنيف إلا عندما يدس له المخدر في الشراب ، فيحس بالأعراض التي يحس بها الآن ..

وعاد يفكر في أنه الليلة لا يحمل سلاحا على عادته كلما خرج لمغامرة .. ولكن الذي يهمة الآن هو أن يستوثق من أنه لا يزال يرثي ثياب تنكره ..

ولعل الشك الوحيد الذي كان يراوده هو في بقاء شعره على ما كان عليه من الشيب الزائف إذ كان قد رشه بمسحوق الرش الناعم .. أما بهان وجهه ولصوق شاربه فقد كان واثقا من بقائهما على حالهما إذ صنعتهما من مواد لا تؤثر فيها المياه ..

وبعد لحظة أدرك لماذا سبج تفكيره إلى هذه الوجهة بالذات ، فقد كان هناك شخص يجلس بجواره ويرطب وجهه بمنشفة مبللة ، ويهز كتفيه في رفق .. بل لقد كان يهتف به في همس رقيق :

- "توم ؟" .. "توم ؟" ..

وكان الصوت مالوفا لديه .. فحاول أن يفتح عينيه ، ولكنه ما إن فعل حتى أدرك أنه ليس ثمة أي تغيير .. ترى هل أصابه العمى ؟

وعاد الهمس الرقيق يردد :

- توم .. استيقظ ! ..

فغمغم كوين في نبرات النعاس :

- "أفالون" يا حبيبتي ! ..

وعندئذ أحس بوجه ناعم يلامس وجهه ويتمسح على وجنتيه
وشفتان تلتصقان بفمه ، وذراعان حائيتان تضغطان على جسمه
الساكن .. وبالصوت الرقيق يهمس في لهفة :

- "لويين" .. حبيبي "لويين" .. افق يا عزيزي .. استيقظ .. ويلاه !
يالي من غبية ! كيف لم اعرفك ؟ ..

وافاق كوين تماما .. وغمغم قائلا :

- "أفالون" ! .. لقد تركت لك رسالة تليفونية انني سوف اراك في
الغد .. ولا ريب ان الغد قد حل الآن .. ولكنني لا استطيع رؤيتك .. اليس
ذلك سخيفا ؟ ..

- لقد اطفأت النور ثانية حتى لا يبدو من اسفل الباب ..

ولكن كوكي توسلت إلي أن افعل ، بعد أن اعتذرت لي في حرارة ..
و..

- انكري لي ما حدث تماما ..

- بعد أن اصابك "باتريك" وصرعك قالت "كوكي" إنك لم ترسل
"فريدياند" خلفه ، بل هو الذي تبعه من تلقاء نفسه ، أو إنها هي التي
ارسلته .. فتالم "باتريك" لخطئه كثيرا .. ومن ثم وضعناك في الفراش
وانفض الجميع بعد أن قال الدكتور "زلمان" إنك ستنام طويلا ..
ولكني لم أتم قط من لطفة تصيبيني ..

- إن "باتريك" رجل قوي .. فقد حملك وارفق بك الدرج بمفرده ..

- ليس لقوته شأن في الأمر .. ولا ريب أنني تناولت مخدرا ، فقد
كان "زلمان" هو الذي يملأ الاقداح ، ومن المحقق أنه وضع لي شيئا
فيها ولكنني افيق الآن .. ولو أن "زلمان" كان يعتقد أنني سنام طويلا ..
- وهل أفقت تماما ؟ ..

- إنني لم اثلج البتة الليلة يا بنيتي ، مهما بدا علي من اشتداد
الشراب بي ..

- ولكنك لن تستطع النهوض الآن ؟ ..

- من قال ذلك ؟ .. اصغي إلي .. لقد كنت ترطبين وجهي بمنشفة مبللة ، فمن أين حصلت على الماء ؟ ..

- إن المغسل هنا في ركن الحجرة ..

- خذيني إليه إذن ..

فقاوته الفتاة في الظلام إلى المغسل حيث راح يريق الماء فوق رأسه وهو يحاذر حتى لا يند عنه أي صوت .. وما لبث أن أحس بقوته وصفاء ذهنه يعودان إليه .. فقال :

- إنني على ما يرام الآن يا "أقالون" .. فأخبريني ..

- بل نبئني أولا كيف فعلت ذلك ، ولماذا تنكرت هكذا ؟ .. وما الذي جئت تفعله هنا ؟

- لقد ابتعت ثيابا قديمة لأحد البحارة ، وجئت إلى هنا لأنني دعيت إلى الحضور .. ولكن الأهم هو أن تخبريني لماذا كنت تحاولين إيقافني في هذا الوقت المتأخر من الليل ؟ ..

فاجابته في هدوء :

- لقد كنت خائفة ! ..

وكان يحس بتصلب جسمها بجانبه ، وتوتر أصابعها في يده ، وهي تستطرد - وقد انتابني الجزع عندما رايت "زلمان" ، فلم يقل لي أحد شيئا عنه ، مما يدل على أنهم تعمدوا إخفاء وجوده عني .. ولم أبال بالأمر أولا ، فما يستطيع "زلمان" أن ينالني بسوء في أثناء وجودكم هنا ولو أنك "باتريك" كنتما ضيفين ولن تتدخلوا في شؤوننا الخاصة .. فلما رايت "باتريك" يصركم لغير ما سبب ، عاويني الفرع .. حتى إذا ما أويت إلى فراشي ، لم أطق النوم ورجحت أفكر في الأمر مليا وظللت مسهدة أرهاق السمع ، فتبينت أن الباقيين لن يناموا بعد ذلك، إذ كنت لا أفتأ أسمع أصواتا غريبة خافتة .. ولكن أحدا لم يدن من حجرتي ، ولم يحاول اقتحامها ، ولو أنني كنت قد حرصت على إيصالها وكانت الأصوات التي أسمعها تبدو لي غريبة حقا ، كأنما

يحاول أصحابها إخفاءها عن السمع .. فلما اشتدت بي الهواجس واستبد بي الذعر شعرت بحاجتي إلى شخص اتحدث إليه ، ولم أجد خيرا منك أو من "باتريك" .. ولم أكن أعرف ما يمكن أن أقوله لك عندما حضرت إلى هنا ، ولكن لم أفكر في شيء من ذلك .. فلما جلست وأضأت النور وتبينت أن "باتريك" ليس في فراشه ، وأنتك ملقي كالجثة الهامدة لا رجاء في استيقاظك كما قال "زلمان" ، جن جنوني وكنت أصيح من فرط الرعب ..

وكان "لوين" يحيطها بنزاعه ويضمها إليه ، على حين كانت يده الأخرى موضوعة فوق فخذه ، فأحس بشيء معدني حاد الزوايا تحت يده ، وما لبث أن مد يده إلى جيب سرواله ليحاول أن يتبين كنه هذا الشيء في أثناء حديثه مع "أفالون" ، ثم قال :

- ينبغي أن أخبرك بشيء أو اثنين يا عزيزتي ، على أن أقص التفاصيل عليك فيما بعد إذا اتسع لنا الوقت .. فنحن الآن في موقف ترخص فيه الحياة البشرية حتى تغدو أقل من القراب ، فأصغي إلي ولا تقاطعيني ..

وتمهل لحظة قبل أن يتابع حديثه فيقول :

- إن العلاقة بين رقم ٩٠٣ بـ "بابلنج رود" بـ "شنغهاي" ، وبين المرفأ والميناء في نيويورك ليست مبينة في أية خريطة بحرية ، ولكني ساوضحها لك بأن أقص عليك قصة صغيرة .. فيحكى أن رجلا ولتسمه مثلا الدكتور "زلمان" ، خطرت له فكرة بادية البساطة .. هي أنه إذا استطاع أن يزود شخصا ما بالمخدرات ، استطاع أن يجعل منه آلة يسيرها كيفما شاء .. وكانت الحرب قد قضت على تهريب المخدرات قضاء مبرما ، إلا أن إحياء هذه التجارة كان متوقعا منذ أن غدت (هيروشيما) من التكريات التاريخية .. وبذلك بدأت الصلة بين (شنغهاي) و(نيويورك) .. وكان الآفيون موجودا بوفرة في الشرق وقد خزنه تجاره في انتظار انتهاء الحرب وكانوا يعلمون أن البواخر التجارية سوف تعاود مسيرها وأن الكثير منها يمر بـ "نيويورك" ..

ومن ثم جمع الدكتور "زلمان" حوله زميلا او اثنين واختار مركزا لعمله هنا ، ولنسمه مثلا مقصف (كوكي) حيث يدعى بحارة البواخر التجارية لياكلوا ويشربوا ويستمتعون ما طاب لهم الاستمتاع ، وكل ذلك بلا مقابل . ويقع الاختيار على بعضهم فيدعون للاستزادة من الشراب والطعام والمتعة في قبو (كوكي) حيث يقدمون للدكتور "زلمان" ، فيستطيع بخبرته وبراعته كعالم نفسي أن يستشف مواطن الضعف فيهم ولا يلبث أن يقول لبعضهم : ما رايك في ربح بعض المال الحلال ؟ .. إليك مائة دولار على الحساب ، وما عليك عند وصولك إلى شنغهاي إلا أن تقصد إلى رقم ٩٠٣ شارع "يابلنج رود" فنقول (لقد أرسلني جورج ..) ثم تحضر اللقافة التي تعطى إليك وتسلمها إلى مستر "جيمس براتر" مثلا فتنال المزيد من المال ..

ولكن بيع هذه المخدرات وتوزيعها لا يكاد ينتج الأرباح المتوقعة منها بما يكفي المشتركين فيها .. ومن ثم تبدأ العملية الثانية وليس ثمة شخص يستطيع أن يمد مرضاه بالمخدر مثل الطبيب البارح .. حتى إذا ما وقعوا تحت سلطانه أمكنه أن يكتشف أو يخلق ما يمكن أن يستخدمه في ابتزاز المال منهم .. وهكذا تنتشر شبكة واسعة من الإجرام تبدأ في "شنغهاي" وتنتهي في عيادة الطبيب مارة بالمقصف والملهى اللذين تديرهما "كوكي" ..

فقال "أفالون" وهي تلهث بهشة :

- إذن فالأمر كذلك ؟ .. إن هذا يفسر لي أشياء كثيرة كنت لا أفهمها من قبل وأدرك "لوبين" أن الفتاة صديقة في دهشتها ، وأنها لم تكن تعرف شيئا مما يدور حولها .. وفي تلك الوقت كانت أنامله لا تزال تعبت بالجسم المعدني الذي وجده في جيب سرواله بون أن يستطيع معرفته تماما ، فقال :

- هل يمكنك أن تجدي علبة ثقاب يا "أفالون" ؟

وسرعان ما أشعلت الفتاة الثقاب ، وعلى ضوءه رأى "لوبين" ذلك الشيء وقال: - لا ريب أن "هوجان" قد وضع علامته في جيبي

كمحاولة أخيرة يائسة لطلب النجدة والمعونة .. وهو لم يعرفني قط
كما لم أحسب أن يكون "هوجان" أحد ضباط هيئة مكافحة التهريب في
مصلحة الضرائب ! ..

* * *

وانطلقا عود الثقاب ، فاستطرد "لوبين" :

- ولقد أدركت أنه ينتمي إلى إحدى الهيئات الرسمية عندما وجدت
علامته في جيبتي منذ قليل .. أما قبل ذلك فقد كنت حائرا في هويته ..
وقد تبينت عندما كنا في المقصف أنه يحمل مسدسا في جيبه ، كما
تبينت في مغالته لـ "كاي ناتيلو" أنه يمثل دورا معيناً ، إذ إنها امرأة
لا يمكن أن تكون فتاة أحلام البحارة وموضع غزلهم . ولكنني كنت
أحسبه من أفراد العصابة وأنه يمثل هذا الدور للتغريب بي ..
- ولكن لماذا صرعت إذا لم يكن منهم ؟ ..

- ليزيحي من الطريق ، إذ لم يعرف شخصيتي . . فقد أدت دور
الملاح الكهل في براعة لا بأس بها ، ومضيت كأنما أحاول استرضاء
"كوكي" و"لرمان" .. وأراد "هوجان" أن ينفرد بمهمته في ضبط
العصابة ، وخشي أن أكون شديد الثمل بحيث لا أنكر ما أراه أو أرفض
إدعاء الشهادة معه ، ولذلك افتعل هذه المسرحية الباردة ليتخلص مني .
- ولكن أين "هوجان" ما دام ليس في فراشه ؟ ولماذا ترك علامته
معك؟

- إما أن يكون قد فعل ذلك ليرشدني إلى حقيقته فاطبق فمي وأخذ
إلى الصمت ، وإما أنه تبين مقدار الخطر الجسيم الذي يقفم عليه ،
فأراد أن يدفعني إلى إبلاغ السلطات إذا ما أصابه شيء .. ومهما يكن
من أمر فسأمضي للبحث عنه ..

وأرأيت الفتاة أن تثنيه عن عزمه فطمأنها إلى أنه قد استعاد قواه
تماما ، وطبع قبله حارة على فمها ، ثم مضى نحو الباب ففتحه ..
وكانت الرهبة معتمة ساكنة لا حياة فيها ، ولكنه ما لبث أن سمع

ضوضاء خافتة تبين فيها همهمة اصوات تتحدث ، وصليلاً معنياً ينبعث من الطابق الأسفل .. ولم يستطع أن يميز شيئاً محدداً من هذه الضوضاء أو كلمة مفهومة من الحديث ولكنها كانت توحى بالرهبة وتنبئ عن أشياء خطيرة تجري في مكان ما بأسفل الكوخ .. أشياء تدفع "لوبيين" إلى المبادرة باكتشافها ، إذ تدل على أن "باتريك هوجان" في ورطة مروعة وخطر داهم ، وأنه فقد مسدسه وإلا لكان للضوضاء مظهر آخر مختلف كل الاختلاف عما هو عليه الآن ..

وكان يتحرك في حذر كالمهر ، وأرهف السمع عندما سمع صوتاً جديداً يطغى على الضوضاء الخافتة .. كان صوت اثنين يتحدثان .. فلما استطاع "لوبيين" أن يركز حواسه في الإصغاء ، تالقت في ذاكرته ومضة خاطفة من الفهم ..

فقد كان أحد الصوتين مماثلاً لذلك الذي سمعه في التليفون عندما سطا على عيادة الدكتور "زلمان" .. وكان صوت "فريديناند بيرفيلد" ..

واسرع "لوبيين" ، تتبعه "آفالون" نحو الباب الموصل الذي ينبعث من ورائه صوت "فريديناند" والدكتور "زلمان" ، فسمع الأول يقول :

- كلا .. لن أفلع شيئاً من ذلك .. فهذه مهمتك ويجب أن تتمها يا "أرنست" .. وقطب "لوبيين" حاجبيه .. فلم تكن نبرات "بيرفيلد" تلك النبرات المخنلة الرقيقة ، وإنما كانت الآن صارمة قوية تبدو فيها السلطة والأمر .. ولم تكن تلك النبرات الواهنة الضارعة التي شكا فيها إلى "كوكي" ضرب "هوجان" إياه وتمزيقه ثيابه وإنما كانت الآن نبرات رجل يستطيع أن ينطق بحكم الإعدام على كثيرين ..

وانبثقت أشعة المعرفة في رأس "لوبيين" .. وإذا به يتبين أن زمالة الدكتور "زلمان" و"كوكي" و"كاي ناتيللو" ، وصلتهم جميعاً بـ "سام جفريز" و"جوهيمان" واضرابهما واشتراكهم مع "جيمس براتر" وغيره ، إنما تشبه خيوط الشبكة التي ينسجها العنكبوت ويربط فيما بينها في دقة وإحكام لقضاء أغراضه ..

وإن ذلك العنكبوت الشرير .. الراس المدبر لهذا كله والذي ينشده
"لوبيين" من بادئ الأمر ، إنما هو مستر "فريديناند بيرفيلد" الفنان !
احس "لوبيين" باصابع "أفالون" تضغط على ذراعه ، وقد تملكته
بهشة طاغية فراح يربت يدها وهو يصغي إلى "بيرفيلد" إذ استطرده
قائلا :

- سوف يكون أمرا فظيعا أن نفقدك يا "أرنست" .. ولكنك تعرف
تماما كم تود إدارة المخابرات السرية أن تعلم السر في قدومك من
(فينا) كلاجئ سياسي . وقد أخذتك في حمايتي كل هذا الوقت ،
ولكني لن أفعل ذلك إلى الأبد .. فإذا تخليت عن عملك معنا ، وحدث
شيء ..

- إنني لا أريد أن اتخلى عن العمل يا "فريديناند" .. ولكن الوسائل
التي اتبعناها معه لم تؤد إلى نتيجة مثمرة .. وفي ظني أنه سوف
يموت قبل أن يخبرنا بما يعرفه ..

وكان الدكتور "زلمان" يقول ذلك في ضراعة ومذلة ، على حين كان
صوت "بيرفيلد" يفيض بالقوة والصرامة إذ أجابه :

- حذار أن يحدث ذلك فإنني أريد معرفة كل ما يعلمه هذا الرجل ..
ولن أشارك معكم .. فإنك تعلم أنني لا أطيق رؤية مناظر الدماء
والتعذيب ، وإنما تصيبني بالأم فظيعة ..

- ولكن هذا لم يكن شأنك في حالة "البرت قولي" .. فلم يبد عليك أي
تأثر وقتئذ ..

- اه ! ! لقد تأثرت تماما .. وعندما طعنته بتلك المذبة ، كاد يغمى
علي ، وكنت أصيح فزعا . ولكنني كنت مضطرا إلى هذا العمل إذ كان
"قولي" يعبث بنا ويسعى لبيعنا ويحاول أن يبتز المال منا بهذا
التهديد .. وكان يجب عليك أدت أن تتولى أمره .. فلما لم تفعل
اضطرت إلى التدخل مكرها ..

- ألا تريد أن تحضر لمساءمتنا الآن ؟ ..

- كل ما في الأمر أنني أريد هذه المعلومات في الحال ..

وعندئذ جذب "كوبين" افالون بعيدا عن الباب واسرعا إلى ركن البهو فوقفا ملاصقين للجدار في سكون مطبق حتى غادر الدكتور "زلمان" حجرة "فريديناند" متجها نحو الدرج المؤدي إلى الاسفل دون ان تتجه نظراته ناحيتهما وكان على كوبين أن يسكت "بيرفيلد" أولا ، فمضى نحو الباب وفتحه على مصراعيه .. وكان "فريديناند" يقف في وسط الحجرة مرتديا بيجامة بلون الكريز فتحول ليواجه الداخل وراح ينظر إليه في غير اكتراث ، كما لو كان يتوقع أن يرى "زلمان" عائدا إليه ليعتذر عما فرط منه .. ولكنه إذ رأى "كوبين" ، ظلت اساريره على جموبها ، بيد أن المفاجأة هزت كيانه هذا واحس بدبيب الهلع يسري تحت جلده ثم يتبثق من مسامه على هيئة عرق غزير .. وما لبث أن ارتسم الفرع على وجهه الجامد ، ولم يعد يستطيع الحراك من مكانه او ينبس ببنت شفة ..

واسف "كوبين" لحالة الفتى ورثى له .. ولكن مستر "بيرفيلد" كان يهدد السلام والهدهد اللذين يحتاجهما "كوبين" لإتمام مهمته ، ومن ثم تقدم نحوه وقبض على عنقه ، وهو يغمغم :

- الا تعلم يا "فريدي" انه قد حان الوقت لنوم الفتيات الصغيرات ؟ .. ثم رفع قبضته واهوى بها على فكه واسرع يتلقاه بين ذراعيه وقد غاب عن الوعي .. ثم نقله إلى الفراش واثق يديه وقدميه وثاقا محكما ، وكمم فاه حتى يمنع من الصياح إذا ما افاق من غشيته .. وبعد ذلك راح يفتش ثيابه فلم يعثر على أي سلاح بها ، كما لم يجد في الحجرة نفسها شيئا يستحق النكر .

وغادر "كوبين" تلك الحجرة ، في طريقه إلى الدرج ، وقد احس بان الفرع الذي تملك مستر "بيرفيلد" لم يكن بسبب رؤيته له ، فما ينتاب الفرع ذلك الالفحوان لمجرد رؤية "توم سيمونز" الملاح الكهل الثمل ، وإنما لأن هناك شيئا يجري في مكان ما من ذلك المنزل يخشى "بيرفيلد" ان يراه احد ، شيئا يهدد حياة "باتريك هوجان" بخطر الموت ، إن لم يكن الموت نفسه ..

وبلغ "لوبيين" نهاية الدرج . و"أفالون" معه .. ولو أن الفتاة أرادت النجاة بنفسها لكان تلك ميسورا لها إذ عدت على قيد ذراعين من باب الخروج .. ولكنها راحت تنظر إلى "لوبيين" في عزم وجراة ، وإن كانت الحيرة واللهفة تخالطان نظراتها الصارمة ..

وكان باب حجرة الاستقبال موصدا .. ولكن الأصوات التي انبعثت خلاله ، كانت واضحة الدلالة على ما يجري بداخلها ..

وابتسم "لوبيين" للفتاة ، وتركها ثم مضى إلى المطبخ وما لبث أن عاد ومعه سكين مقوسة مرهفة النصل ذات مقبض من العاج ، بسها في كفه الأيسر وبنى ذراعه قليلا ليثبتها في مكانها .. وادنى فمه من أنف "أفالون" ، وقال بصوت خافت :

- اسرعي بالخروج يا عزيزتي ، وخذي إحدى السيارات وانهيبي إلى المدينة لإبلاغ رجال الشرطة وإحضارهم إلى هنا بأسرع ما في وسعك .. وفي خلال ذلك ساقوم بمناوشتهم حتى لا يفر احدهم ..

ولكنها هزت رأسها نفيا .. وما كان في استطاعته أن يجادلها وقتئذ .. فتركها وهو يرجو أن تغير رأيها ، ومضى نحو باب حجرة الاستقبال فأنحنى لينظر خلال ثقب المفتاح ليتبين الموقف الذي سيواجهه عند دخوله ..

وكان ما راه شيئا رهيبا .. بلغ من هولاء أنه جعل الرعدة تسري في أوصال "أرسين لوبيين" نفسه ..

وفي اللحظة نفسها سمع صوت الدكتور "زلمان" يقول في نبراتة الرقيقة :

- لماذا لا تتعقل يا "باتريك" وتخبرنا بما تعرفه ؟ .. ألا تعلم أنني سوف أمضي في هذا العمل إلى النهاية حتى تعترف لنا بكل ما عرفته في أثناء تنكرك ؟

واختفت الصورة الصغيرة التي تبدو من ثقب المفتاح ليحل محلها منظر كامل دقيق التفاصيل عندما دفع "لوبيين" الباب على مصراعيه .. وكان ذلك شيئا لن ينساه "لوبيين" مدى الحياة .. كان منظرا من

مناظر الأساطير التي تروى عن القرون الوسطى ومحاكم التفتيش ..
كان الدكتور 'زلمان' يقف منتصب القامة يجلل هامته شعره
الأشيب المهيّب ، وبين أصابعه لفافة لم ينفذ رمانها مما يدل على
رباطة جأشه وهذوء أعصابه .. بينما كان أمامه 'باتريك هوجان' مقيد
اليدين والقدمين إلى أحد المقاعد ، وعرق اللام يتصبب من جبينه
ويسيل على عينيه ووجنتيه حتى يختفي بين طيات الكمامة التي
شدت فوق فمه ..

وكانت المراتان تقفان إلى جانبه ، وقد اختفت الابتسامة التقليدية
من أساريرهما ، وارتسمت محلها بسمة شيطانية مروعة .. ولعل
الأخرى أن تقول الجلادين ، فقد كانت المراتان تتوليان بنفسيهما
عملية التعذيب الرهيبة ، وقد أمسكت 'كاي ناتيلو' بمحرك النار وهو
يتوهج أحمرارا من شدة الحرارة ، وتضعه على قدم 'باتريك' العارية
فيسمع لنزوله حسيس غريب تفوح على أثره رائحة الجلد المحترق ..
وعندئذ تهتز الكمامة فوق فم 'باتريك' وتنبعث من حلقه همهمة تقطع
نباط القلوب .

كما يهتز وجهه كله تحت صفعات 'كوكي' المدوية وهي تواليه
الصفعة تلو الأخرى بيدها المكتنزة الثقيلة ..

وسار 'لوبين' إلى داخل الحجرة فارغ اليدين ، والسكين مثبتة لصق
ساعده .. فما كاد 'زلمان' يراه حتى امتدت يده في عجلة إلى جيبه
الخلفي ، ولكنه ما لبث أن استعادها وقد ببت في محياه علائم
التريد ..

فقد تحول 'لوبين' ثانية إلى 'توم سيمونز' الثمل المترنح . وكان
شديد السيطرة على أعصابه حتى لا تخونه في تلك اللحظات الحاسمة
الدقيقة التي كانت أقل حركة خاطئة يأتينا كغيلة بان تورده و'باتريك
هوجان' موارد الهلاك معا ..

وهتف في تلعثم من فرط السكر :

- هالودكتور! .. ما قولك في كاس أخرى لمحسويك ؟ -

فراى "زلمان" تنفرج اساريره قليلا .. كما راى "كوكي" و"ناتيلو"
تنظران إليه في جزع وترقب وامل .. وعندئذ قال الطبيب :

- لا ريب انك قد افقت من جديد يا "توم" .. فقد كنا لا نتوقع ان نفيق
قبل الصباح من فرط ما شربت .. وهانت تستيقت بينما نهم نحن
بالذهاب إلى الفراش ..

- لقد كنت نائما .. ولكنني افقت على ظمأ شديد فجئت لأرطب حلقي
ببعض الشراب ..

وتظاهر بأنه يرى "هوجان" للمرة الأولى فتقدم نحوه في تعثر ، وهو
يقول .

- اه ! .. ها هو الوغد الذي صرعتني .. الا بعني انقه بمثل ما
اذاقني . فقال "زلمان" :

- لقد افط "باتريك" في الشراب ، وها نحن نحاول أن نحمله إلى
فراشه ..

وكان الطبيب يتحرك في مهارة وخفة ليحول بين "لوبيين" وبين رؤية
الحالة التي كان عليها "هوجان" .. ولكن هذا لا يفنا يتقدم خطوة بعد
أخرى وهو يكاد يسقط على الأرض من شدة الترنح ..

ويغته راى الطبيب يتصلب وجهه ، وتلوح في عينيه نظرة رهبة
وقد استقرت على شيء معين خلف "لوبيين" .. فأدرك هذا أن "أفالون" لم
تطق الصبر ، وبخلت الحجرة وراءه ..

وتوالت الأحداث في مثل وميض البرق ، فقد أخرج "زلمان" مسدسه
وأطلقه فأصاب "لوبيين" في ذراعه في اللحظة نفسها التي كان هذا فيها
قد شد ساعده وتلقى بيده اليمنى مقبض السكين التي يحملها .. وقبل
أن يتسع وقت "زلمان" ليطلق رصاصة أخرى كان "لوبيين" يدفع السكين
في صدره حيث غاصت حتى المقبض ، ثم يختطف المسدس من يده
المتراخية ، قبل أن يهوي إلى الأرض ..

وهجمت عليه "كاي ناتيلو" وقد شرعت قطعة الحديد المتوهجة في
يدها ، فاضطر إلى أن يطلق على تلك اليد رصاصة من مسدس "زلمان"

جعلت المرأة تصيح في الم بالغ وتسقط الاداة الجهنمية من يدها ..
وفي اللحظة التالية وقبل ان تفيق "كوكي" و"كاي" من ذهولهما كان
"لوبيين" يامرهما بان يرفعا ايديهما إلى اعلى ، ثم يشير إلى "افالون"
بان تقطع حبال الستار المسدلة على النافذة ، وتوثق بها قياد المرأتين
الجهنميتين ..

- ١٢ -

وقال "هاملتون" في اسف :
- اما كان في وسعك ان تبقي على حياة "زلمان" حتى ينال
جزاءه؟..

- وهل كان في وسعك ان تمنعه من قتلي ؟ ..إن الدفاع عن النفس امر
مشروع يا صديقي .. ومع ذلك فقد تركت لك في الوكر الاعوان الاكبر
والثنتين من افاعيه ..

- هذا يكفي الآن .. ويجدر بك ان تغادر المكان ، وسوف اتصل بك في
"نيويورك" إذ لدي مهمة أخرى من اجلك ..
- هكذا تريد دائما الاتدع لي فرصة للراحة .. اجل .. سوف اترك
المكان لـ "هوجان" ، فإن فيه الكفاية ..

فلما أعاد سماع التليفون مكانه ، تحول إلى "باتريك" قائلا :
- إنها قضيتك انت يا "باتريك" .. وعلى فكرة ، هل هذا اسمك
الحقيقي ؟ ..

فاوما الضابط المنكود براسه .. وكان "لوبيين" قد فعل كل ما يستطيع
في سبيل تخفيف الامة ، ولكن وجهه كان شديد الامتقاع .. وما لبث ان
غمغم قائلا:

- اجل .. "هوجان" هو اسمي الحقيقي .. ولكنك خدعتني تماما
بتنكرك البار .. لم اكن اتوقع البتة ان تكون "ارسين لوبيين" عندما
تركت علامتي النحاسية في جيبك ، وإنما كنت كالغريق يتعلق بقشة ،
وخيل إلي أن الأمل لا يعدو واحدا في الألف إذ كنت أحسبك من أولئك
البحارة السكارى الذين تلتقطهم العصابة لتستخدمهم في التهريب

ولعل ذلك كان السبب في استجابتي لك عندما تمسحت بي في المقصف
حتى أستطيع أن أراقب ما تفعله العصاة معك ..
فقيهه "كوبين" في جذل ، وكانت "أفالون" قد فرغت من تضميد الجرح
الذي أصاب ذراعه ، وراحت تعاونه في ارتداء معطفه .
فاحتضنها بيده الأخرى ، وقال له "باتريك" :
- إن رجال البوليس في الطريق إليك الآن ، فلا تقل لهم شيئا عني ..
وإنك لرجل شجاع يا "هوجان" .. ويسعدني أن عرفتك ..
وفي لهجة البحار الثمل ، استطرده يقول :
- يقينا يا بني أنا سنلتقي مرة أخرى .. ربما في "مورمانسك" .

تمت بحمد الله